جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
بابل- كلية كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الحِجاج في كُتب الحَماسة حتى نهاية القرن الخامس الهجري

أطروحة تقدّمت بها الطالبة

زينب غازي كريم كاظم

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية في جامعة بابل
وهي من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

بإشراف:

أ.د: محمد عبد الحسن حسين

1445هـ 2023م

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Babylon

College of Education for Humanity Science

Department of Arabic Language

Argument in enthusiasm books of Until the end of the fifth century AH

Thesis submitted
To the Council of the College of Education for Humanities
Department of Arabic Language at the University of Babylon
It is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in Arabic language and literature

by
Zainab Ghazi Karim Kazem

Supervision:

Prof. Dr.: Mohamed Abdel-Hassan Hussein

2023 **1445**

بسم الله
الرحمن
الرحيم

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ
اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

صدق الله العظيم

{ سورة آل عمران: 20}

الإهداء

أَهْدَي ثَمَرَة جُهْدِي وَاجْتِهَادِي هذا إِلَــى ...

- مَنْ قادنا نحوَ مرفأ الأمانِ , مُعلمنا الأول وحبيب قُلوبنا نبينا محمد صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ .
- مَنْ لا يوفي حقّهُ رصفاً من الكلماتِ صاحب الفكر المستنير الغائب الحاضر والدي العزيز - طيّبَ اللهُ ثراهُ -
- نورِ عيني وينبوع عطائي ومرآة روحي أمي العزيزة .
- مَنْ رافقني وخطّ لي خطواتَ حُلمي لأنْ أقفَ اليومَ هُنا فكانَ لي السند والعطاء زوجي الحبيب .
- أملِ الغد وبذرة المستقبل ومُهجة الفؤاد وثمرةُ الروحِ الذينَ استمد منهم قوايَ أبنائي الأحبة (مريم - عبدُ الله – بان) .
- الذينَ ظفرت بحبهم من دونَ انتهاء فوهبني اللهُ نِعمة وجودهم إخوتي و أخواتي .

زينب

المحتويات

الموضوع		الصفحة	
		من	إلى
المقدمة		أ	ه
التمهيد الحجاج تأصيلاً وتنظيراً		1	29
إضاءة عن كتب الحماسة		2	4
المسار التاريخي للحِجاج		4	29
الفصل الاول	حجاجية الحوار والتفاعل التواصلي	30	83
المبحث الاول	مراعاة الكلام لمقتضى الحال	35	52
المبحث الثاني	أساليب الأداء اللغوي واستراتيجية الاقناع والتأثير	53	83
أولاً	الإستفهام	56	65
ثانياً	النداء	65	73
ثالثاً	التكرار	73	83
الفصل الثاني	متضمنات القول في كتب الحماسة	84	119
المبحث الأول	الافتراض المسبق	89	105
المبحث الثاني	القول المضمر وابعاده الحجاجية	106	119
الفصل الثالث	التقنيات الحجاجية في كتب الحماسة	120	163
المبحث الأول	الروابط الحجاجية	124	145
أولاً	الرابط الحِجاجي(لكنّ)	129	130
ثانياً	الرابط الحِجاجي (حتى)	131	134
ثالثاً	الرابط الحِجاجي (الواو)	134	140
رابعاً	الرابط الحِجاجي (الفاء)	140	145

المبحث الثاني	السلالم الحجاجية	146	163
أولاً	السلّم التصاعدي	149	153
ثانياً	السلّم التنازلي	153	156
ثالثاً	السلّم المتراكم	156	163
الخاتمة		164	168
المصادر والمراجع		169	192
ملخص اللغة الانكليزية		B	A

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله المصطفى الأمين عليه وعلى آله أفضل الصلاة و التسليم .

أمّا بعد ...

للنصّ الشعري أهميةٌ كبيرةٌ قديماً وحديثاً؛ لما لـهُ من أثرٍ بـارزٍ فـي المجتمعـات ، فهو مصـدرٌ للمعرفـة وسـجل للأحـداث والوقـائع ، وبـه يتغنـى الشـاعرُ بأمجـاد قبيلتـه ويصل إلى عطايا الحكّام و الملوك ، فهدف النصّ الشعري يكمن في إنزال التأثير بالمتلقي وإثارة انتباهه إلى قضايا مُهمة يتمُّ طرحها ، وهُنا تكمن فطنـةُ الشاعر وقوتـه في طرح حِججه بالوجهةِ التي تُحقق الإقناع للمتلقي .

إذاً نحنُ إزاء مدونـة غنيـة بطاقـات حِجاجيـة يتوسّل بهـا الشـاعر؛ لينـال مـا يـروم الوصول إليه وهذا لا يتم إلاّ من طريق توظيف الجانب اللغوي الذي تنبه اليـه ووضـع أسسه وقواعده عالما اللغة ديكرو وزميلـه انسكومبر, إذ يتجلـى بهذا الجانـب وسـائل وتقنيات لغوية بل يتعداه إلى البعدِ التواصـلي بين الأطـراف المتحاجّـة ، وبهذا لـم تعدُّ اللغة وسيلةً للإخبار بل تتعداها إلى انجازِ للأفعـال الكلاميـة لتشكّل بهـا حِججـاً مُختلفـة توجّـه الـنصّ الشـعري, وهـذا لا يقتصـر علـى الجمـل فقـط ، بـل يشـمل نصّـاً متكـاملاً تتخلله طاقات حِجاجية مكثّفة يصل بها الشاعر إلى مرادهِ وهدفهِ .

إنّ عمليــة البحــث فــي الأبعــاد الحجاجيــة المتجليــة فــي النصــوص الشــعرية الحماسية ما هو إلا للكشف عن الغرض من تقديم الحِجج أولاً, ومن ثمّ معرفة الآليـات التي وظّفها شعراء الحماسات ليصلوا بها إلى تحقيق الإقناع .

وعليـه كـان هدف البحـث هو دراسـةُ مدونـة شـعرية عظيمـة بـدافع التنقيـب عـن مهارة شعرائها في كيفية تدعيم مواقفهم ومحاولـة تغيير رأي مـا يقابلهم ، فضـلاً عن تقديم دراسـة حِجاجيـة معاصـرة تسـعى للكشـف عن فاعليـة الحِجـاج فـي هذه الكتـب وأعني كتب الحماسة وبيان مدى اتكائها علـى اللغـة واستثمارها فـي إحداث استجابة وتقبّل للمتلقي لما يتمُّ طرحه .

ولا يفوتنـا أن نـذكر أنّ بحثنـا يعتمـد بالدرجـة الأسـاس علـى شـروحات (ديكـرو) اللغوية , بيد أنّ أغلب الدراسات الحِجاجية المُتداولـة تتبعت شروحات بيرلمـان إلاّ مـا ندر منها ولضيق الوقت المسموح بـه للدراسـة وقع اختيـاري علـى نخبـة من شـعراء الحماسة بمدة زمنية وبيئات مختلفة .

إذ جاءت هذه الدراسة موسومة بـــ(الحِجاج في كُتب الحماسة حتى نهاية القرن الخامس الهجري) , وقد قامت على ثلاثة فصول يسبقها تمهيد كان الغرض منهُ تتبع المسار التاريخي للحجاج . وجاء الفصل الأول بعنوان: (حِجاجية الحوار والتفاعل التواصلي) بمبحثين، الأول منه بعنوان :(مُراعاة الكلام لمقتضى الحال).

والمبحث الثاني يتمثّل بـــ (أساليب الأداء اللغوي و استراتيجية الاقناع والتأثير) ، أمّا الفصل الثاني فجاء بعنوان (متضمنات القول في كتب الحماسة) وقد تضمّن مبحثين الأول منه بعنوان: (الافتراض المسبق) , أمّا المبحث الثاني فقد درست فيه (القول المضمر وابعاده الحِجاجية) وكان الفصل الأخير بعنوان :(التقنيات الحِجاجية في كتب الحماسة) وتوزّع على مبحثـــين اختص الأول منه بـــــ (الروابط الحجاجية) والثاني بـــــ (السلالم الحجاجية) ، ثم اتممتُ الدراسة بخاتمة تضمّنت أهم النتائج التي توصلت إليها ثم تلتها قائمة بالمصادر والمراجع .

أمّا أهم المصادر التي استندت عليها في دراستي منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب (اللغة والحِجاج لأبي بكر العزاوي) , وكتاب (الحِجاج أطره و منطلقاته لعبد الله صولة) و(الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية حتى القرن الثاني الهجري بنيته وأساليبه لسامية الدريدي) و(السلالم الحِجاجي لديكرو) و(الحِجاجيات اللسانية عند ديكرو و انسكومبر) .

ولكلِ دراسة أكاديمية معوقات ومصاعب والمعوقات التي واجهتني تمثّلت بضخامة المتن الشعري المتمثل بكتب الحماسة من أقدمها, والمتمثلة بحماسة أبي تمام في القرن الثالث الهجري وحتى القرن السابع الهجري المتمثلة بالحماسة البصرية وهذا تطلب وقتاً وجهداً كبيرين .

ولا يفوتني أن اتقدّم بالشكر الجزيل إلى أُستاذي الفاضل (الدكتور محمد عبد الحسن) الذي سهّل لي طريق البحث منذ إن كان فكرة حتى أبصر النور، فكرّس جهده وجلّ وقته في اتمامه، ولم يبخل عليّ بنصائحهِ القيّمة فجزاه الله عنـــي أفضل الـــجزاء وأتمّه .

كذلك اتقدم بالشكر والامتنان إلى رئاسة قسم اللغة العربية المتمثلة برئيسها (الدكتور الفاضل حمزة خضير أفندي) فلهُ مني جزيل الشكر والاحترام ، وإلى أساتيذي الذين تتلمذت على أيديهم في دراستي للدكتوراه داعية لهم بالخير والبركات .

وختاماً الحمدُ لله ربّ العالمين على فضلهِ وكرمهِ ولطفهِ ، فأقول انّي كرّست جلّ جهدي ووقتي لكي أُقدّم دراسة علمية يستفيد منها طلاب العلم والمعرفة ، فأن أصبت فمن الله وتوفيقه ، وإن قصّرت أو أخطأت ، فالتمس العُذر مِنكم ، فلا كمال إلاّ لله وحده والله ولي التوفيق .

البـــاحثة

التمهيد

إضاءة عن كتب الحماسة:

قبل الخوض في دراسة الحِجاج بكتب الحماسة لابدّ من الإشارة إلى أهمية هذه الكتب في التُراث العربي الإسلامي وما تركته من أثر ذي قيمة أدبية ونقدية على مرّ العصور، وجدير بالذكر أنّ الحماسةَ في اللغة تعني : " حمس الأمر حمسًا :اشتد وتحامس القوم تحامسًا وحماسًا ، تشادوا واقتتلوا و المتحمس : الشديد والحماسة : الشجاعة " [1] .

1 - لسان العرب , ابن منظور ابو الفضل جمال الدين, دار الثقافة العربية , بيروت :58/6 .

أمّا في معناها الأصطلاحي فتعني الحماسة فنّ الحرب والقتال ، فهو شعر متعلّق بالحروب و وصف ما يجري بأرضها من شجاعة و كرّ وفّر والأخذ بالثأر،إذ هو فنّ للبطولة و تحميس للنفس (1) .

والشعر الحماسي كان له صيتٌ و شأنٌ من بين موضوعات الشعر الجاهلي ؛ لكثرة دواعيه فكان صاحب الحماسة يتمتّع بألقاب منها(الأسد والفرس والبطل والجريء) . لذا فإنّ الشاعرَ الجاهلي يفتتن به من حيث التحريض على القتال أو للفخر الذاتي وغيرها ، وبهذا لم تكن الحماسةُ مقصورةً غرضٍ محددٍ ألا وهو الفخر بل نجد لها أغراضاً أخرى كالمدح والرثاء وغيرها فالشاعر هنا يعكس الصور التي رسمها في مخيلته أو في أرض الواقع (2) , أمّا في مضمار الحديث عن كتب الحماسة وما تتضمنه من ثروات أدبية و قيمة لغوية كبيرة ،لا بدّ أنّ نعرجَ إلى أول من بدأ بهذه المختارات الشعرية التي حملت لفظة الحماسة بين طياتها الذهبية ومن هنا لابد أن نقف عند الشاعر(أبي تمام) الذي عُدّ رائدًا لهذا النوع من الشعر وبقى مُعلمًا مُهمًا لمن جاء من بعده حيث كان غرضُ الحماسة يتقدّم الأغراض الشعرية في ديوانه؛ لما لهُ من أهمية عند الشعراء على مرّ العصور إذ كانت الحماسة " من أهم المواضيع التي استنفرت قصائدهم فقد سعرتهم الحروب وأمدها شعراؤهم بوقود جزل من التغنّي ببطولاتهم وأنّهم لا يرهبون الموت مدافعين عن شرف قبائلهم وحماها ويرتفع هذا الغناء بل قل هذا الصياح في كلّ مكان " (3) , فنجد أنّ أبا تمام " قد ذاع صيته حتى قال بعض العلماء إنّه سئل عنه فقال كأنه جمع شعر العالم ينتخب جوهره وكان قد ألف كتابًا وسماه الحماسة " (4). ومن هنا امتد تأليف هذه الكتب ذات

---

1 - يُنظر : اديان العرب قبل الاسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ، داوود جرجسي المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1998 : 243.

2 - يُنظر : دور الشعر الحماسي في العصرين الجاهلي والاسلامي ، عثمان عبد السلام ، كلّية الآداب ، جامعه الوزن :19 .

3 - تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ,مصر ، ط18 995 :202 .

4 - مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي ، تح: : يوسف اسعد ، دار الاندلس بيروت , ط5 1978, : 748/4.

القيمة الأدبية إلى العصور التالية كـ حماسة (البحتري والخالدين والشجري والمغربية والبصرية) وغيرها ، واشتملت على مختارات شعرية مختلفة شكلّت مادة خصبة للدرس والبحث والنقد والتقصّي .

المسار التاريخي للحِجاج :

مدخل نظري :

في البدء لابدّ من تسليط الضوء على تعدد دراسات الحِجاج, فقد تعددت تعريفاته من الجانبين اللغوي والاصطلاحي واختلفت باختلاف الخلفيات المعرفية وبذلك يتفاوت النقّاد من حيث اطلاقهم لها ، فهو من المفاهيم التي يصعب تقديم مفهوم شامل ومحدد له ، وسنسلط الضوء أولاً على المنظور اللغوي له .

تدور مادة (حِجج) في اللغة حول(الحوار والجدل) بهدف الإقناع فقد قال ابن منظور يُقال "حاججته احاجّهُ حِجاجًا حتى حَجِجتُه أي غلبته بالحِجج التي ادليت بها والحِجّة ما دافع به الخصم" [1] ، ويذكر(أحمد بن فارس) مفهومًا آخر قالاً :

" حاججتُ فلاناً فحجِجتهُ أي غلبتهُ بالحِجة وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع حجج والمصدر الحِجاج " [2] . و(للزبيدي) تعريف لمفهوم الحِجاج إذ قال: " الحِجُّ الغلبة بالحِجة يقال حجهُ يحجهُ حجًا إذ غلبهُ على حِجتهِ ... والحِجُّ كثرة الاختلاف والتردد " [3] .

وعليه نلاحظ أنّ الحِجاج لا يخرج عن معاني (الجدل، الاقناع ، القصد والمبالغة).

أمّا الدلالة الاصطلاحية للحِجاج:

---

[1] - لسان العرب : مادة (حجج): 570.

[2] - معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس ، تح: شهاب الدين ابو عمرو ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، د.ت: 250.

[3] - تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني ، تح: : مصطفى حجازي، مطبعة الكويت- الكويت، د.ط ، 1969: 5/ 460.

فقد ورد في المعجم الفلسفي أنّه " يقوم على جمع الحِجج لإثبات رأي وابطاله والمحاجّة طريقة تقديم الحِجج والافادة منها " [1] .

وهو في كشّاف الاصطلاحات والفنون " مرادفة الدليل والحجة الالزامية المتركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم المقصود منها الزام الخصم واسكاته " [2] .

وجاء تعريفه في موسوعة لا لاند بأنّه " طريقة عرض الحجج وترتيبها أو هو سرد حجج ترجع كلّها إلى الخلاصة ذاتها " [3] .

والحِجة إذاً " في معناها السائر هي إمّا تمش ذهني بقصد إثبات قضية و دحضها ، وإمّا دليل يقدم لصالح أطروحة ما أو ضدها " [4] .

وحرصنا على أن نفرق بين الإقناع والاقتناع 0ومدى علاقتهما بالمصطلح الحِجاجي فالحِجاج " يتمحور حول الاقناع وهذا هو غرضه الأسمى وليس له من مصب رئيسٍ سوى الإقناع إذ ممّا لا شك فيه أن ّالتلفظ بلفظة الحِجاج يستدعي ذهنياً لفظة الإقناع فهما ينتميان إلى حقل دلالي واحد لذا عبّر بعضهم عن الحِجاج بفن الإقناع "[5]

وهذا يعني إنّه لا وجود للاقتناع من دون وجود للإقناع ، فلا بدّ من تحقيق الإقناع من قبل المتلقي ؛ لأنّه من شروط الحِجاج الأساسية، وهذا لا يتم إلاّ من طريق توفّر الاساليب الإقناعية واللغوية وعرضها شيئاً فشيئاً على المتلقي قصد تفاعله ايجابياً مع الفكرة المطروحة لتكون أقدر على التأثير بهِ .

أمّا في ما يخص الحديث عن الحِجاج وعلاقته بالبرهان فنقول إنّ الحِجاج يتميز عن البرهان في كون البرهان يختص بمعالجة الحقائق، خلافاً للحِجاج الذي يكون

---

[1] - المعجم الفلسفي ، ابراهيم مدكور ، مجمع اللغة العربية ، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،القاهرة ، د.ط ، 1403 : 67

[2] - كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم ،محمد علي التهاوني ، تح: رفيق العجم– علي دحروج د.ت ،ط1 :622

[3] - موسوعة لالاند الفلسفية ، اندريه لالاند ، منشورات عويدات – بيروت ، ط2 ، 2001 93.

4 - التداولية والحجاج مداخل ونصوص ،صابر الحباشة ، صفحات للنشر والتوزيع سوريا - دمشق ، 2008 : 68 .

5 - النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع , محمد العيد, مجلة فصول للنقد الأدبي , ع/ 9 ، 2002 : 42.

مجاله مختصّاً بالمجالات الإنسانية والحقيقية التي ترمي إلى التأثير بالمقابل وبذلك يصبح " مجال تطبيق نظرية الحِجاج يتجاوز مجال تطبيق نظرية البرهان أيما تجاوز ذلك أن الحِجاجيات تنهض على كلّ ما يمكن أن يكون موضوعاً لإبداء رأي أو إصدار حكم، فالحِجاج لا يقدّم أدلة منطقية ولا يقوم على فروض الاستدلال التجريبي والاستدلال المنطقي كما أنه لا يعينه على صدق أمر ما أو إظهار صحته من وجهة نظر منطقية " [1] ، ومن خلال ذلك يتضح لنا أنّ غاية البرهنة تكمن بالوصول إلى الحقيقة، أمّا غاية الحِجاج تتجلى بمدى كيفية ايصال المتكلّم رسالته إلى المتلقين للتأثير بهم واقناعهم بآرائه ومن ثم دحض الآراء المضادة له.

نشأة الحِجاج في التراث الغربي قديمًا وحديثًا:

لم تكن نظرية الحِجاج حديثة إذ ارتبطت منذ القدم بالإنسان وتواجده ، وبذلك تباينت نظرة الدارسين المعاصرين من الغرب والعرب لمفهوم الحِجاج ولمعرفة ما يكمنه لابدّ أن نعرج لما ذكروه قديمًا وحديثًا . وولدت هذه الظاهرة اللغوية مع مولد اللغة ؛ لأنّها تحمل بصفة جوهرية وظيفة حِجاجية [2]. إذاً " الوظيفة الأساسية للغة هي الحِجاج والمعنى ذو طبيعة حِجاجية " [3] .

الحِجاج عند الغرب قديمًا

بدأ الحِجاج على " يد زينون ثم اتى بعده السفسطائيون ثم من بعدهم سقراط ثم افلاطون إلى أن وصل إلى ارسطو" [4]. ويذكر لنا ارسطو أنّ زينون هو الذي اكتشف فن الديالكتيك وعمل جاهداً على أن يثبت الأصل ببطلان النقيض ، فأراد أن

---

1 - الأسس التداولية لبناء الحجة النحوية: محمد عديل , كلّية دار العلوم ,جامعة المنيا ، 2008: 80 ، اطروحة دكتوراه.

2 - يُنظر : اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، العمدة للطبع والنشر ، ط1 ، 2006 :8

3 - استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر ، دار الكتاب الجديد بيروت ، ط1 ,2004 : 459 .

4 - الآليات الحِجاجية للتواصل ، بلنجر ليوشيل ، تر :عبد العزيز بورسكي ، مجلة علاقات ع/21 :34.

يثبت وحدة الوجود والثبات واستخدم الجدل الذي يقصد به البرهان لإقحام خصومه وليثبت بذلك القضية التي يريد الدفاع عنها [1]

إذ عُدّت الحركة السفسطائية* حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية ظهرت في القرن الخامس ق.م ، و تميّز رواد هذه الحركة بالكفاءة اللغوية والبلاغة القولية التواصلية[2] . فالسفسطائيون استغلوا مهاراتهم الحِجاجية في تحقيق غايات شخصية عديدة ومكاسب مادية في سبلٍ إقناعية ومن هنا اصبحت لفظة سفسطائي تُطلق على كلّ منْ يستعين بالقول في التمويه والخداع والتضليل[3] .

وإنّ أول من تصدّى للحركة السفسطائية من الفلاسفة (سقراط وافلاطون وارسطو) إذ تصدوا لمغالطاتهم وخداعهم فمثلاً افلاطون عالج أصول هذا الفن في محاوراته فالخطابة الحقة عنده قائمة على العلم الخالص لا الظن وبالتالي انتفاع الناس لا خداعهم والتأثير في المتلقي وتحقيق الخير والحق والجمال[4].

ويرى افلاطون أنّ الحِجاج الاخلاقي" يمكننا نعته بانّه اخلاقي وقد تم تجاوزه ونقده قديمًا من تلميذه ارسطو وحديثًا من معظم رواد البلاغة المعاصرة وخاصة بيرلمان وإنّ أبسط نقد وجه إلى الطرح الافلاطوني إنّهُ لا يخدم التطورات الإنسانية

---

[1] - يُنظر: حياة مشاهير الفلاسفة: ديوجينيس الايرتسي ، تر: عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، مصر - القاهرة، ط 1 ، 2014 :25.

* " الحركة السفسطائية ظهرت في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد وبداية القرن السادس قبل الميلاد وبعضهم وصفها بأنها ليست حركة سلبية وأنها بناءة وانها أول ثورة عرفها الانسان، لكن سقراط وافلاطون عارضوها وشنوا حملة عنيفة لتدميرها ، فالسفسطائي هو من يبيع فكره ويقبل التلاعب بالألفاظ وتغيير الحقائق وتضليل خصمه عن الراي الصحيح مقابل المال والاجر فيثبت ما لا يثبت وينفي ما لا ينفي وهو ممتهن للجدال والحوار وللرد على الأسئلة لذلك يوصفون بأنهم موهومون" يُنظر: الفلسفة اليونانية وريف عبد الرؤوف دار الجنان للنشر والتوزيع عمان ، د.ط 2021 : 61- 62 .

2 - يُنظر : الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم محمد الامين الطلبة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، لبنان - بيروت ، ط1 ،2008 :271 .

[3] - يُنظر : الحجاج عند ارسطو، اشراف حمادي صمود ، تونس – كلّية الآداب جامعة منوبة د.ط ، د.ت:56.

[4] - يُنظر : الحجاج في البلاغة المعاصرة :28 .

"[1] ، أمّا ارسطو فقد كشف عن المغالطات السفسطائية وعن الحجج التي يخدعون بها الناس بالاعتماد على الاستقراء السقراطي والجدل الافلاطوني ، إذ بدأ بالتفكير في وضع فنون منطقية اخرى تعتمد على مقدمات صادقة وبهذا أسس نظرية حِجاجية جديدة [2] وبهذا الاسلوب اصبحت بعيدة عن المخادعة اللفظية وعن تصورات افلاطون [3].

ومن الجدير بالذكر أنّ ارسطو قد واصل مواجهة الحِجاج السفسطائي وتخليص الخطابة من تهمة التضليل والمخادعة [4] .

والحِجاجية عند ارسطو تقوم على ثلاثة أركان هي .

1- أخلاق القائل (الايتوس)

2- مشاعر القائل (الباتوس)

3- حجـــــــة القول (اللوغوس)

وأهم ما يكمن في ما سبق هو التركيز على حجة القول لما له من أهمية بالغة في عملية الإقناع والتأثير بالمتلقي .

ولذلك عُدَّ ارسطو من أهم المنظّرين الأوائل للحِجاج إذ أهتم بالحجج , والأدلة المقنعة لبناء واقع اقناعي يؤثر بالمتلقي [5] ، فالانفعالات التي يثيرها الخطيب في السامع تساعده على تهيئته ومساعدته للاقتناع بما يملى عليه وهذا ما يوجه مسار الخطابة لتحمل حمولة اقناعية لتتحقق بذلك عملية الاقناع [6] . حتى إنّه أولى الأسلوب عناية مميزة وجعله من المقومات الحِجاجية فعمد إلى ربط جمال ورونق

---

[1] - بلاغة الاقناع في المناظرة ، عادل عبد اللطيف ، دار الامان – الرباط ، ط1، 2013: 31

[2] - يُنظر : الحجاج عند ارسطو ، هشام الريفي : 265 .

[3] - يُنظر : نظرية الحجاج في التقاليد الغربية ، حسن المودن ، مجلة علامات ،ج/ 42 2001 : 6-8.

[4] - يُنظر : الحجاج في البلاغة المعاصرة : 42 .

[5] - يُنظر : الخطابة ، ارسطو طاليس ، تح: عبد الرحمن بدوي ، دار العلم – بيروت ، د.ط 1979 : 11 .

[6] - يُنظر : الخطابة ، ارسطو طاليس: 10.

الأسلوب بالسلامة اللغوية ، فالأسلوب في نظره يدعم الحِجج والبرهنة التي هي الأساس [1].

ومن هذا نجد إنّ أرسطو المؤسس الحقيقي لنظرية الحِجاج ، إذ اصبحت هذه النظرية واضحة المعالم على يده, وهذا ما وجد في كتابه الخطابة الذي عدَ المرجع الرئيس لمن جاؤوا بعده .

الحِجاج عند الغرب حديثا :

بعد أن تطرقنا إلى جهود الفلاسفة اليونانيين القدامى ونظرتهم إلى الحِجاج من حيث وضع الأسس التي ترتكز عليها هذه النظرية والمتجلية بالاعتماد على القوة الإقناعية المثيرة لذهن المخاطب .

نعرج الآن على الدراسات المعاصرة التي أبدت اهتماماً واسعًا عند ثلة من الباحثين أمثال (بيرلمان وتيتكا و ديكرو وإنسكومبر).

إذ يُعدّ (بيرلمان) من الأوائل الذين تبنوا هذه النظرية التي أسس معالمها أرسطو ولهذا نجده انطلق من المسار الارسطي القديم محاولًا بناء بلاغة حِجاجية جديدة تتماشى مع روح العصر وإنّ (بيرلمان) وصديقه كان لهما الفضل في هذا الاتجاه . فهو يبني نظريته على أُسس أرسطية ، إذ يمكن القول إنّ الخطابة الجديدة التي وضعها قائمة على اعادة الاعتبار إلى خطابة أرسطو من جهة وعلى تجديدها بتوسيع مجالاتها من جهة أخرى [2] ، وبهذا المفهوم الجديد يطلق بيرلمان الخطابة من عقالها لتنفتح على جميع الخطابات الإنسانية الاخرى [3] .

فإذا وازنا ما بين طروحات ارسطو و بيرلمان نجد أنّ البلاغة البيرلمانية تتعلق بالخطابات الموجهة إلى أنواع المستمعين ، سواء تعلّق الأمر بجمع أم بشخص واحد أي إنّها وسّعت دائرة المستمع والمقام ، لذلك شملت عدداً من المجالات كالقانون

---

[1] - يُنظر: المصدر نفسه : 183.

[2] - يُنظر : نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان ، الحسين بنو هاشم : مكتبة الادب المغربي ، دار الكتاب الجديد ، ط1 ، 3014: 33 .

[3] - يُنظر : المصدر نفسه : 37.

والعلوم الإنسانية والفلسفة خلاف لما جاء به أرسطو من حيث حصرها وتضييقها في ميدان معين [1] .

يقدّم (بيرلمان) تعريفًا للحِجاج بوصفه جملة من الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الإقناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع[2]. فيتحدد موضوع الحِجاج على ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما وهدفه من هذا هو الإذعان لتغيير سلوك المتلقي, بغية الوصول إلى اقناعه بنتائج معينة [3].

لذا يرى(بيرلمان) أنّ " القاعدة العامّة و المبدأ الأساس للتأثير في المستمع هو تكييف الخطيب مع مستمعه وإنّ الوسيلة الرئيسية لتحقيق هذا التكييف هو أن لا يختار الخطيب نقطة انطلاق حِجاجية إلاّ من مقدمات مقبولة ومسلّم بها من قبل أن يوجه إليهم الخطاب ، فالهدف من الحِجاج هو ليس تقديم الدليل على صدق النتيجة انطلاقاً من صدق المقدمات بل الهدف هو نقل الاعتناق الحاصل حول المقدمات إلى النتائج فالخطيب الذي لا يأخذ بعين الاعتبار في حجاجه مدى قبول مستمعه للمقدمات التي ينطلق منها يرتكب ما يعتبره بيرلمان افظع خطأ في الحِجاج" [4] .

ويفتح بذلك أمام الحِجاج آفاقًا جديدة " محاولًا إخراجه من الدائرة الضيقة والدهاليز المظلمة التي حصرته فيها الدراسات التقليدية كأداة تقنية صرفة توظف في المجالات العقلية الصرفة إلى عالم الاحتمالات والآراء والقيم والتفاعلات بين الأفراد

---

[1] - يُنظر : مدخل الى الحجاج افلاطون وارسطو و شاييم بيرلمان ، محمد الولي ، عالم الفكر العربي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت : 34-35.

2 - يُنظر : مصنف في الحجاج ، بيرلمان - تيتكا ، تح: ليوت ، المطابع الجامعية 1981: 1 /92 .

3 - يُنظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم محمد الأمين المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت، ط 1 ،2000 : 61 .

4 - نظرية الحجاج عنده شايم بيرلمان ، تح: : حسين بنو هاشم مكتبة الأدب المغربي ,دار الكتاب الجديدة ، ط1، 2014 : 42.

والجماعات بين الافكار والاطروحات " [1] .

ويتميز الحِجاج عند بيرلمان بملامح تتلخص بما يأتي [2]:

1- أن يتوجه إلى مستمع

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية

3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية

4 - نتائجه ليست ملزمة

ويجد أنّ من الضروري في كلّ الأطر الحِجاجية لا بد من " استمالة المستمع الذي يعد طرفًا مهمًا في الحِجاج ومن هذا يتوجب توجيه عناية خاصّة ومهمة للمتلقي واخذ بعين الاعتبار جميع أحواله" [3] .

كذلك أكد على أهميته لإنّه لم يعد سلبًا كما كان بل أصبح متلقٍ فاعل و أصبح الحِجاج بذلك وفاق وتشارك و حوار بعيدًا عن كلّ أشكال الضغط " [4].

فكلّ شيء في هذه النظرية مرتبط بالخطيب وبذلك يصبح الحِجاج عنده " نظرية لغوية تهتم بالخطيب وجمهوره مع احداث تفاعل بينهما كما إنّه متأثر بالبلاغة الأرسطية وغاية الحِجاج عنده هي تقنيات الخطاب الهادفة" [5] .

فيؤكد الخطاب الحِجاجي على التركيز والتأثير في استمالة المتلقي بغرض المقبولية ويأخذ مفهوم الحِجاج إذاً على أنّه " وسيلة المتكلّم في جعل المتلقي يتقبل آراءه اتجاهاته وانتقاداته وتوجيهاته " [6]

---

1 - النظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية , محمد طروس ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2005 : 44 .

2 - مفهوم الحجاج عند شاييم بيرلمان ، محمد سالم الامين ، دار الروافد الثقافية الجديدة - بيروت، ط 1 2013 : 61 .

3 - نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان : 38.

4 - الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات تنظيريه وتطبيقيه في البلاغة الجديدة ، حافظ علوي عالم الكتب الحديث ، اربد - الاردن ، ط 1، 2010 : 10 .

5 - الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة ، محمد سالم الامين :104 .

6 - الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي ، يمينة تابتي ، مخبر للنشر والتوزيع ، د.ط ، 2007 . 284

ومن هُنا يرى (بيرلمان) و(تيتيكا) إنّ انجع الحِجاج هو الذي يمكن منهُ الوصول إلى ذهن المتلقي ممّا يدفعه بذلك إلى إنجاز عمل معين [1] . وترى سامية الدريدي أنّ " مؤلف (بيرلمان) و(تيتيكا) ينزل الحِجاج من صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره ويجعلانه شيئاً مفارقاً للجدل من ناحية وصناعة الخطاب من ناحية اخرى رغم اتصاله بها " [2] .

وبناءً على ما سبق نلحظ أنّ للمتلقي أهمية كبيرة في بلاغة (بيرلمان) إذ عدّه المحور الرئيس و العنصر الفعّال للعملية الحِجاجية .

وفي هذا الإطار يكون الحِجاج " آخذاً التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي وإذعانه إذعاناً نظريًا مجردًا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف ويأخذ من الخطابة توجيه السلوك أو العمل والاعداد له والحض عليه "[3] .

وتماشيًا مع ما تم ذكره نجد إنّ الغرض الرئيس للحِجاج هو استمالة المتلقي الأمر الذي يفضي إلى مستوى التأثير من خلال الأساليب اللغوية و الاقناعية وهذه الاساليب لابد إنّ تخضع إلى مفاهيم ذهنية محددة .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أثر كلّ من (ديكرو و انسكومبر)

❖ **وننوه إلى إنّ (ديكرو وانسكومبر) هما أقرب المفاهيم لبحثنا من حيث آلية الاشتغال .**

إنّ هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي (ديكرو) منذ سنة 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية و بإمكانات اللغة التي يتوفر عليها المتكلّم وبذلك بقصد

---

1 - يُنظر :الحجاج في القران الكريم من خـــــلال اهم خصائصـــــه الأسلوبية ، عبد الله صولة
دار الفارابي- بيروت ، ط2 ، 2007 :27 .

2 - يُنظر:الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني ، سامية الدريدي عالم الكتب الحديث إربد - الاردن ، 2008 :22.

3 - الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني :22 .

توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحِجاجية ثم إنّها من الفكرة الشائعة التي مؤادها إنّنا نتكلّم بقصد التأثير [1]

إذ يؤكد على إنّ الحِجاج يكمن داخل اللغة و بذلك تتضمن هذه النظرية التي جاء بها كلّ من (ديكرو و انسكومبر)

فمجال البحث عندهما " هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة و يكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية المسجلة في بنية اللغة و توضيح شروط استعمالها " [2] .

وتعرّف التداولية المدمجة حسب المعجم الموسوعي للتداولية بكونها " نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفظ في اللسان وليست مظاهر التلفظ في بعض وجوهها سوى عوامل حِجاجية تتدرج في الأقوال فتكيّف تأويلها وفق غاية المتكلّم"[3]

ويصبح بذلك " الموقف المبدئي من التداولية المدمجة هو إنّ اللغة تّحقّق اعمالًا

لغويًا وليست وصفاً لحالة الأشياء في الكون وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة

عن عملية القول لا عن الكون ذاته " [4] .

وعلى هذا الأساس " فإنّ البنى الحِجاجية ليست ذات طبيعة منطقية ولكنها لغوية بالأساس داخلة في اللغة التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحِجاج هذه يمكن تشبيهها وظيفياً بتحديد مسبق للتسلسلات الخطابية فالملفوظات تختص إذاً بقطبية حِجاجية أي بكفاءة في الدخول إلى محمل لغوي موجه نحو استنتاج دقيق... إذاً فأعمال (ديكرو و انسكومبر) تتميز عن

1 - يُنظر: اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، العمدة للطبع والتوزيع ، الدار البيضاء ،ط1 2006 : 14 .

2 - نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم، شكري المبخوت ، اشراف حمادي صمود، جامعة تونس - كلّية الآداب،ط1 ، د.ت: 351

3 - التداولية والحجاج مداخل ونصوص, صابر الحباشة , صفحات للنشر والتوزيع , سوريا , دمشق ,ط1 2008: 20 .

4 - نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم: 354.

النظريات التداولية الاخرى بمصادرة مخصوصة : اي إنّهما يعتبران إنّ هذه القطبيات الحِجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساسا لكلّ دلالة " [1]؛ لذلك أصبحت اللغة هي الأساس في البحث عن الدلالة .

وبذلك يعدّ الحِجاج " استراتيجية لغوية تكتسب أبعادها من الأحوال المصاحبة للخطاب على اعتبار إنّ اللغة نشاط كلام يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق " [2].

إذ يرى(ديكرو) إنّ غاية الخطاب الحِجاجي تتمثل في إنّ تفرض على المخاطب نمطًا من النتائج بوصفهما الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب إنّ يسير فيه [3]. فالحِجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية فقط وإنّما هو بعد ملازم لكلّ خطاب على وجه الإطلاق أي إنّ كلّ خطاب موجه إلى الطرف الآخر يهدف إلى الإقناع والتأثير يكون له أبعاد حِجاجية من حيث الأدلة التي يقدمها المرسل التي تندرج ضمن اليات معينه مسلم بها إذ القصد منها استماله الاخر [4] .

وأكدّ على ربط الحِجاج بفعل التوجيه ، إذ إنّ الانتقال المترتب للأقوال من وضع إلى وضع آخر سواء كان معلوماً أو مضمراً هو النتيجة التي يسعى المتكلّم بها إلى استهداف المتلقي بطريقة ما [5] .

وبذلك ترتكز النظرية الحِجاجية في دراسة اللغة التي أسسها(ديكرو)على أنّ البعد الحِجاجي في الخطاب يأتي من ترتيب الأقوال والخطابات في النصوص وإنّ ترابطها مسجل في بنية اللغة بصفة علاقات توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض

---

1 - التداولية والحجاج مداخل ونصوص : 18.

2 - تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، عمر بالخير، منشورات الاختلاف الجزائر ، ط1 2003 : 120.

3 - السلالم الحجاجيه ، ديكرو، منشورات منوي ، باريس ، 1980: نقلا عن كتاب الحجاج في الشعر العربي القديم ساميه الدريدي :23 .

4 - يُنظر : الحجاج والاستدلال الحجاجي ، حبيب اعراب ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ع1 ، سبتمبر : 2001: 100.

5 - يُنظر : العوامل الحِجاجية ، عز الدين الناجح ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس- تونس د.ط ، 2001 : 31.

ربطه بقول دون آخر [1] . بمعنى إنّ " دراسة الحِجاج تكمن بتحليل التقنيات الخطابية التي تسمح بإحداث ميل السامع إلى الاطروحات التي يعرضها على مسامعه أو التي تسمح بتعزيز ذلك الميل " [2] ، وعلى هذا النحو أقرّ بسلطة الخطاب الحِجاجي فهو في نظره خطاب يسد المنافذ على أي حِجاج فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها وبذلك ينتهي إلى ميزتين أساسيتين تميزان رؤية (ديكرو) الحِجاجية هما التركيز على الوظيفة الحِجاجية للبنى اللغوية وإبراز سمة الخطاب التوجيهية "[3] .

ولابدّ من الإشارة إلى إنّ ابو بكر العزاوي قد جمع المبادئ التي ترتكز عليها نظرية(ديكرو) اللسانية على النحو الاتي:

- **المبدأ الأول** إنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الحِجاج .
- **المبدأ الثاني** إنّ المكون الحِجاجي في المعنى أساسي والمكون الاخباري ثانوي.
- **المبدأ الثالث** عدم الفصل بين الدلالات والتداوليات .

وفضلًا عن ذلك نجد أنّ (ديكرو) تحدث عن الحِجاج في مؤلفه المشترك مع (انسكومبر) ليؤكد على إنّ الحِجاج متجل في اللغة و إنّ جوهر الحِجاج هو اللغة

لذلك " تعزز المذهب الحِجاجي في البلاغة مع (ديكرو) الذي أضاف الجانب اللغوي مع التقنيات الحِجاجية اللغوية وفق سلم و روابط وعوامل لغوية " [4] .

إذاً للغة وظيفة حِجاجية من حيث إمكاناتها بواسطة كميه الأقوال اللغوية لتقديم الحجج التي تهدف إلى اقناع المخاطب واستمالته لذلك نجد ارتباطاً وثيق الصلة بين اللغة واساليبها وبين منطلقات الحِجاج لتحقيق المقاصد وتوجيهها وجهة تهدف إلى إحداث تقلبات معرفية تسعى إلى الولوج في ذهن الآخر والتأثير به .

---

1 - يُنظر : نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم : 352

2 - التداولية والحجاج مدخل ونصوص : 69

3 - الحجاج في روايات اهل البيت في كتاب اصول الكافي للكلّيني ، عبد الله خليل العبادي، شركه العارف للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، ط1 ، 2021 : 57.

4 - الحجاج والاستدلال الحجاجي : 123 .

الملامح الِحِجاجية عند العرب قديمًا :

- **الحِجاج في القران الكريم :**

لم يقتصر الحِجاج على الثقافة الغربية بل نجد إشارةً واضحةً له على صعيد الحياة الاجتماعية مرتبطًا بأهداف معينة دورها الوصول إلى عملية الإقناع , وقد جاء كلام الله عز وجل في كتابه العزيز معززًا نظرية الحِجاج عند العرب وإن كانت تفتقر إلى بعض الآليات والأساليب التوظيفية المحدثة لكنه كان يتجلى بشتى الخطابات العربية القديمة .

فالقران الكريم يحتوي على أوسع الخطابات ؛ لإنّه خطاب الله عزّ وجلّ إلى العالم أجمع إذ جاء معجزاً في كلّ شيء من حيث الأساليب والجزالة والصور الموحية وسحر بيانه ومن هذا المنطلق نجده زاخراً بأساليب الحِجاج الإقناعية وتتجلّى هذه الحِجاجية بسوره وقصصه .

و " عندما نزل القران الكريم كان ذا أثر واضح في توجيه البلاغة و في إثراء مادتها وتبلور مفاهيمها ومصطلحاتها على الرغم من أنّ القرآن الكريم يملك أهم المعطيات التي تجعل منه خطابًا حجاجيًا فهو ينطوي على جملة من المبادئ الحِجاجية الظاهرة أو الضمنية التي عبّر عنها بأشكال من العبارات والأساليب التي تروم الحوار وتهدف إلى الاقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية والفطرية والتي جمعت كلّها في الحجة البالغة كما إنّ لغته تحمل الكثير من الروابط الحِجاجية في مفرداتها وتراكيبها والتي تمنح الحِجاج فيه منهجاً دقيقاً خاليا من العنف والإكراه " (1)

لذا فإنّ النصَّ القرآني له وجهان هما: (المرسل) الذي يتحقق بكلام الله و(المرسل إليه) الذي يتحقق بخلق الله عزّ وجلّ, ومن هذا المنطلق جاء ليحقق الغاية الإقناعية وجدير بالذكر إنّ الخطاب في أعم مفاهيمه هو كلّ قول يفترض متكلّماً أو

1 - الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم ،ايمن ابو مصطفى ، دار النابغه للنشر والتوزيع ، ط1، 2018 : 42.

سامعاً؛ لأنّ مدار الغاية في هذا الخطاب هو تحقيق الفهم والافهام وبذلك تكون غاية النص القرآني الحِجاجي في الاقناع والتأثير بالمتلقي [1] .

- **الجاحظ (ت:255 هـــ):**

هو من أكثر العلماء اهتماماً بالمخاطبات الإقناعية إذ حاول إيضاح هذا المفهوم في كتابه البيان والتبيين في فصل البلاغة الذي يرى فيه أنّ " الغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع " [2] .

ويرى الجاحظ أنّ " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيبُ رابط الجأش, ساكن الجوارح, قليل اللحظ , متخير اللفظ , لا يكلّم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة , ويكون في قوله فضل التصرف في كلّ طبقة " [3] .

ومن هذا النص نجد أنّ الجاحظ ركّز على العملية الإقناعية والكيفية التي يتمُّ بها التأثير بالمتلقي, ولابد من تخيّر الألفاظ وحُسن صياغتها. وتجدر الإشارة إلى أنّ بلاغة الجاحظ تأخذ بعداً تداوليًا فترتكز على عملية الفهم والإفهام كما سبق لإقناع السامع إلى تبني موقف معين أو تهيئتهم لإنجاز عمل ما [4] . إذ إنّ الجاحظ وضع في ذهن منشئ النص أن يكون على بيّنة من أمره في استعمال الألفاظ وتوجيهها الوجهة التي تكون مؤثرة في المتلقي .

- **أبو هلال العسكري(ت 395 هـــ) :**

نستقصي للعسكري ملامح حِجاجية نجدها في بعض تعريفاته للبلاغة في كتابه (الصناعتين) إذ يقول " إنّ البلاغة كلّما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسهِ لتمكّنهُ في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن وإنّما جعلنا حسن المعرض

---

1 - يُنظر : البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ،عمران قدور ، عالم الكتب الحديث اربد- الاردن ، ط1، 2012: 28.

2 - البيان والتبيين : أبو عثمان بن بحر الجاحظ ، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، 1418، ط7 ،ج/1 :76 .

3 - البيان والتبيين: 1 /92.

4 - يُنظر : بلاغة الاقناع في المناظرة ، عادل عبد اللطيف، دار الأمان - الرباط ، ط1 2013: 63 .

وقبول الصورة شرطًا في البلاغة ؛ لإنّ الكلام إذا كانت عبارته رثّة ومعرضهُ خلقاً لم يُسمّ بليغًا وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى " [1] .

ومن الملاحظ إنّ رأي العسكري يوافق ما جاء به الجاحظ من حيث التأكيد على وحسن الكلام ورقته وجزالته حتى إنّه يرى أنّ للكلام البليغ مزايا خاصّة ومن هذا المنطلق نجد أنّه لابد أن " تعطف به القلوب المستوحشة و تلين به العريكة المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة " [2] .

وبالكلام البليغ يتحقق الحِجاج وهذه هي سمته الكاملة وابراز مكامن الخطاب الحِجاجي ودورها في الإقناع والتأثير بالمتلقي من طريق اختيار الألفاظ والتراكيب وكيفية الأداء البياني فضلًا عن كيفية القول و نجاعته وهذا ما ادلى به كلّ من الجاحظ والعسكري .

- **الجرجاني (ت471 هـ) :**

مع الجرجاني تتضح الجوانب الحِجاجية المتجلية في الألفاظ وعلاقتها مع بعضها إذ يقول "معلوم أنّ ليس النظم سوى تعليق الكلام بعضها ببعض وجعل بعضها سبب من بعض " [3] .ويرى الجرجاني أنّ اعجاز القران الكريم يتحقق بنظمه وإنّ الفصاحة لا تظهر في لفظة واحدة بل في اجتماع الالفاظ وحسن اختيارها ونظمها على طريقة مخصوصة [4] . ليبلغ بذلك الغرض المطلوب ويقيم الحجة ويوصلها إلى الذهن من أجل قبول الخطاب الموجّه إلى المتلقي وبذلك تكونت نظرية النظم وما تحويه من أساليب بلاغية من الحِجج الجمالية المهمة التي لها أثر واضح وهذا ما أشار إليه في مصنفه أسرار البلاغة إذ يرى إنّ التمثيل يرتبط ببلاغة الإقناع و التأثير فإذا جاء " التمثيل في اعقاب المعاني أو برزت هي

---

[1] - كتاب الصناعتين الكتابة والشعر , ابو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل ، تح: علي محمد و محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية ، ط1، 1952: 10.

[2] - المصدر نفسه : 94 .

[3] - دلائل الاعجاز, أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق عبد المنعم خفاجة، مكتبة القاهرة ط1، 1969 : 13.

[4] - يُنظر: المصدر نفسه: 294 .

باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية التي صورته كساها ابهة وكساها منقبة ورفع من أقدارها فإن كان مدحًا كان أبهةً وأفخم وانبل في النفوس وأعظم و إن كان للحِجاج كان برهانه أنور وسلطانه أقهر " [1]

- **حازم القرطاجني**(ت 648هـ):

لقد أشار حازم القرطاجني في مؤلفه منهاج البلغاء وسراج الادباء إلى أنّ الحِجاج وجهٌ من أوجه الكلام فيقول " لما كان كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب أمّا أن يرد على جهة الإخبار أو الاقتصاص وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال وكان اعتماد أو الصناعة الخطابية في أقوالها على تقوية الظن لا على ايقاع اليقين ، اللهم إلا إنّ يعدل الخطيب بأقواله على الإقناع و التصديق " [2].

وبذلك عمد حازم القرطاجني إلى توظيف طريقتين لإقناع الخصم وهما الاستدراجات والتمويهات ، إذ يقول إنّما يصير القول الكاذب مقنعاً وموهماً إنّه حُق بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له وعلى هذا الأساس يستلطف المخاطب واستمالته وقد فرّق بينهما إذ قرن التمويهات بالأقوال أمّا الاستدراجات تعمل على تهيئة قول المتكلّم حتى يصبح كلّامه مقبولًا وكلام خصمه غير مقبول وعليه نجد أنّ حازم القرطاجني وظّف آليات معينة للحجة والإقناع وبتلك التمثلات الحِجاجية يصل إلى القبول و الاستساغة [3].

ويرى أيضاً أنّ كلّ من الخطابة والشعر يؤديان إلى غرض مُعين الأولى غرضها الاقناع وبذلك تحقق مقاصدها وأغراضها ، إذ ربط الخطابة بالحِجاج وجعلهما ذات وظيفة حِجاجية إقناعية ، أمّا الشعر فربطه بعنصر التخييل ومدى وقعه وتأثيره في نفوس السامعين وبذلك كلّ يؤدي غرضهُ [4].

---

[1] - اسرار البلاغة ، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ،تح: محمد عبد المنعم الخفاجي- محمد عزيز شرف ، دار الجيل للطباعة والنشر - بيروت ، د.ط ،1991 : 119 .

[2] - منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني أبو الحسن، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة الدار العربية للكتاب ، تونس ط 1، 2008 : 55 .

[3] - يُنظر : المصدر نفسه: 56 .

[4] - يُنظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 18-19 .

وإنّ أهم ما نستخلصه ممّا سبق هو إنّ نظرية الحِجاج كانت من المسلمات الأساسية التي ترتبط بالبلاغة ومباحثها وبذلك كلّما كان الكلام بليغاً كان أقدر وأنجع على الإيصال والتأثير ليتمّ بذلك تبليغ ما يريد تبليغه وإيصال ما يريد إيصاله للمتلقي سواء بالرفض أم القبول .

الحِجاج عند العرب حديثًا:

لقد كان للباحثين العرب المحدثين آراء في الحِجاج نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : **(طه عبد الرحمن)** الذي يرى أنّ الحِجاج هو الآلية التي تعتمد على اللغة اعتمادًا كلّياً ويتجسد ذلك من خلال الإقناع الذي يؤدي بدوره إلى الفهم والافهام فهو : " فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي و اجتماعي يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اخبارية لأنّ هدفه اقناعي قائم على التزام صور استدلالية أوسع و أغنى من البنيات البرهانية الضيقة " (1).

وقد عرّفهُ **(أبو بكر العزاوي)**على أنّهُ " تقديم الحِجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينه متمثلًا في إنّجاز تسلسلات إنّتاجية داخل الخطاب الحِجاجي " (2).

فالخطاب الحِجاجي " يحتوي على ملفوظين حيث يقوم أحدهما بتعريف الآخر فيسمى الأول حجة والثاني نتيجة " (3) ، أمّا **(سامية الدريدي)** فترى أنّ الخطاب الحِجاجي يتأسس على مجموعة من الأسس والحجج غايتها الإقناع ليكون " نصًا مترابطًا متناغمًا يقوم على وحدة معينة لا تكون بالضرورة واضحة جلية قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحهُ وُضِع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معينة عن طريق تقنيات مخصوصة " (4) .

---

1 - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام , طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي للنشر ,الدار البيضاء ، ط 2 ، 2000 : 65 .

2 - اللغة والحجاج : أبو بكر العزاوي ، العمدة للطبع والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2006 : 16 .

3 - الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وانسكومبر , رشيد الراضي ،عالم الفكر ، د. ط 2005: 277 .

4 - الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني بنيته وأساليبه: 26 .

كذلك أستاذ البلاغة (**محمد مشبال**) قام بمشروع مهم حول بلاغة الحِجاج نحو مقاربة بلاغية حِجاجية ,إذ عدّ البلاغة منهجاً في تحليل النصوص الحِجاجية انطلاقاً من استراتيجيتها الخطابية التي عدّها ارسطو الوسائل الأساسية لصناعة الحِجاج وهي اللوغوس والايتوس والباتوس " [1] . جاعلًا من الأدوات البلاغية ذات أثر عميق في الكشف عن الخطابات الحِجاجية المختلفة .

وينظر (**محمد العمري**) إلى الخطاب الحِجاجي على أنّه خطابٌ اقناعي خالص قائم على الإقناع والتأثير في المتلقي إذ يغلب على نظرته الطابع الفلسفي اليوناني الافلاطوني ويرى أنّ أفلاطون عمل في محاوراته على الخطابة بالإقناع بدلًا من البحث عن الحقيقة [2] .

وفي إتمام العرض السابق لمفهوم الحِجاج عند الغرب والعرب قديمًا وحديثاً وكما تناولناها بإدراج بعض التعريفات المهمة التي أدلى بها كلّ من القائمين والمهتمين بهذه النظرية حتى وإن كانت متباينةً احياناً بحسب التخصص والتوجه الفكري إلاّ أنّها تتفق على بعض الخطوط الرئيسة والاتجاهات المعينة له والتي تتمثّل وتتجلّى بامتثال ورضوخ واستمالة المتلقي إلى قضية معينة بالرفض أو القبول كما أسلفنا لذا عدّ ذا أهمية كبيرة في العملية التحاورية والتواصلية ، كما وأنّ أساس الحِجاج الارتكاز على حجة أو أدلة معينة والتي جعلت من اللغة المرتكز الأساسي لها .

1 - في بلاغة الحجاج , محمد مشبال ، دار كنوز المعرفة , عمان، ط 1 ، 2017 : 11 .
2 - يُنظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية , محمد العمري ، دار افريقيا الشرق -المغرب ، ط 2، 2002 :13.

Abstract

Based on previous studies and what scholars presented in explaining the importance of persuasive discourse and clarifying the extent of its contribution to the revival of the new discourse, we can summarize the basic mechanisms included in this research, which are manifested in the elements of persuasion and influence.

The full identity of the arguments lies in the element of persuasion, and in order to achieve this, it is necessary to include the communicative and interactive dimension between the receiver and the speaker, so that the axes of the dialectical process are completed, and this is what prompts the speaker to focus and pay attention to the level of verbal choices and replace them with the specified place. To stimulate the minds of the recipients As the argumentative process of poets is based on important factors, including the selection of mechanisms that influence the recipient, as well as the employment of techniques commensurate with the general context of the text and the issue at hand, and taking into account the state of the recipient and his psychological conditions. We mentioned it effectively contributes to the success of the

persuasive communicative process, and through it the arguments reach their goals and extent.

The poets of enthusiasm resort to directing the saying to a specific topic and presenting and accepting what is presented until we find that the poet of enthusiasm resorted to linguistic means to support his arguments and strengthen them with them. Among these means is his employment of the question, the command, and the call, as well as his consideration for me of the recipient's condition and his position in society, and he even deliberately employed other persuasive argumentative mechanisms such as links and persuasive peace, and this contributes effectively to directing the recipient to a specific result and making him acquiesce, and then influencing him.

الفصــل الأول

حجاجية الحوار والتفاعل التواصلي

مدخل تنظيري :

يُعدّ الحِوارُ مِن الأمور المُهمة لتبادل الأفكار والمواقف والهدف الأساسي منهُ هو إنشاء التفاعل والتواصل بين الأفراد، وبهذا المفهوم يكون الحِوارُ جزءاً مهماً في العملية التواصلية الحِجاجية الإقناعية التي تحدث بين الأطراف المتحاورة , فالحِوارُ والحِجاج وجهان لعملة واحدة , فلا يمكن أن نجد حجاجاً من دون حوار و لا حواراً

من دون حِجاج ونتيجة لذلك يصبح للحوار التفاعلي وظيفة ذو أثر كبير داخل السياق التخاطبي الحِجاجي .

ويعدُّ الحِوارُ" أعلى المهارات الاجتماعية قيمة، وتعرف قيمة الشيء بمعرفة قيمة المنسوب إليهم والحِوارُ هو عمل الأنبياء والعلماء والمفكرين ... وهو أفضل أُسلوب اتخذه الإنسان منهجًا تواصليًا لنقل المعلومات إلى غيره ؛ لأنَّه وسيلة اتصال بين اثنين أو أكثر ولقد عُرِف الحِوارُ بأهميته منذ قديم الزمن ؛ لأنَّه وجه من أوجه الحُرية في التعبير عن الرأي ووسيلة إقناع " [1] كما أنَّ " الحِوارُ هو أهم أشكال التفاعل اللفظي وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحِجاج بامتياز " [2].

يقوم النصُّ الحِجاجي على صوتين متصارعين وأطروحتين متناقضتين ومنظومة من القيم والحجج والأدلة التي ترتبط بكل أطروحة ، وغايته إقناعية مُوظّفاً أساليب اللغة في الإثبات والدحض و ويشيع الحِوارُ فيه وهو ذو طبيعة حِوارية تواصلية تفاعلية[3]. فهو قائم على عنصر الأختلاف " فعندما يتفق الجميع فلا يبرر لما يقال وحين يكون القول الحِجاجي مغلقاً فلا يشكّل قولاً حِجاجياً " [4]، فالمتكلم لا يُحاجِج فيما هو مُحدد ومُتفق وراسخ , بل يتمّ التحاجِج بالمُمكن والمُحتمل .

وإنّ التفاعل الحِوارُي " كظاهرة تواصلية يتضمّن عناصراً مهمة في اجرائه من هذه العناصر والمعتقدات التي يتمّ تفعيلها أثناء الحِوارُ والتي تتميز بتنافرها وتقاربها بين

---

1 - فنُّ وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة , د. سناء محمد سليمان , عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع , كلية البنات , جامعة عين شمس, د.ط , د.ت :21- 22.

2 - الخطاب والحجاج, أبو بكر العزاوي , مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ,ط1 , 2010: 53 .

3 - يُنظر: الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية , عبد العزيز حويدق , منشور في كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة العربية , اعداد وتقديم : حافظ اسماعيل علوي , الاردن – أربد, عالم الكتب الحديث , 2010: 3/361- 363 .

4 - عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج : عبد السلام عشير , الشرق للنشر والتوزيع , الدار البيضاء , المغرب , د.ط, 2006: 12.

أطراف الحِوارُ إلا أنَّ طرحها في النقاش يفضي الى بعض التقارب أو التنافر حسب ما يؤول إليه التبادل الحِجاجي والقدرة الإقناعية للمتحاورين ومن العناصر المُهمة أيضاً التي يتضمّنها الحِوارُ هو التفاعل حيث يقوم التفاعل بين المشاركين في ما بينهم من جهةٍ والمشاركين والمتتبعين من جهة ثانية ولا يعني التفاعل حصول الاقناع ولكن الاشتراك في الاهتمامات وإدراك الأنساق التأويلية والتقويمية والتفاعل معها يمكّن الحِوارُ من تحقيق التفاعل بين أطرافه" [1]

إذاً فبنية النصّ الحِجاجي مركّبة من عناصر عدّة تعتمد على المصادقة في العلاقات المتبادلة بين الأطراف المُتحاورة , وهذه هي التي تعطي الوظيفة المرتبة على الحِوارُ التواصلي وموقعه من حيث التوجيه والإبلاغ وصولًا إلى الاقناع [2] .
وكما إنّ الهم الأول للخطاب الحِجاجي " يكمن في إقناع المتلقي أو إغرائه أو حمله على الاذعان دون إقتناع حقيقي ونجاعة هذا الخطاب إنّما تكمن في مدى قدرته على اقتحام عالم المتلقي وتغييره " [3] . فالخِطاب الحِجاجي بهذا المعنى لا ينفك عن الخطاب الإقناعي من حيث القوة التفاعلية التي تكمن بين الذوات المتخاطبة وهذا من شأنهِ أن يرمي إلى التسليم والإذعان لدحض وتغيير أفكار المتلقي .

ونستنتج ممَا سبق إنّ الخطاب الحِجاجي يكتسب وجهته الخطابية من أسسٍ عدَّة قائمة على الحِوارُ التواصلي , وتعتمد هذه الأسس على القوة التأثيرية وعلاقات الاغراء المتبادلة التي تستهدف جمهورًا أو افرادًا معينة وبهذا التقابل الحِجاجي يتمُّ

---

1 - الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية د. محمد نظيف , افريقيا الشرق - المغرب , ط1, 2010 : 10.

2 - يُنظر : اللسان أو التكوثر العقلي , طه عبد الرحمن , المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع , د.ط , 2007 : 270 .

3 - الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه : 31.

الوصول إلى المتلقي مُحققًا قصد الإقناع والعمل على إزالة العوائق لتنفيذ الأهداف المُرادة .

المبحث الأول

مراعاة الكلام لمقتضى الحال

توطئة :

تتجلّى مُراعاة الكلام لمقتضى الحال في الصورة التي يقدّمها المُخاطِب ليوافق بها المقتضى ليصبح بها الكلام بليغًا منسجمًا ومتناغمًا، ومن حيث إيراد خصوصية

في تركيب الصورة التي تورد عليها العبارة وتحدّث العرب كثيرًا عن المقام وعدوّه من أساسيات القول ودعوا إلى ضرورة مراعاته وموافقة خصائصه.

إذ يقول العسكري في الصناعتين " اعلم أنَّ المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال اذا كانت فاذا كُنتَ متكلمًا أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض ما تصلح له الخطب أو قصيده لبعض ما يراد له القصيد فتخط أَلفاظ المتكلمين مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر فإنّ ذلك هُجنة " [1] .

إذ لابدّ من مُراعاة المقام لمقتضى الحال وهُنا تظهر بلاغة المتكلم وبراعته وكما يقول السكاكي: " إنّ مقامات الكلام متفاوتة فمقام الشكر يُباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يُباين مقام التعزية ومقام المدح يُباين مقام الذم ومقام الترغيب يُباين مقام الترهيب و مقام الجد في جميع ذلك يُباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام يُغاير مقام الكلام بناء على الاستخبارِ أو الانكار وجميع ذلك معلوم لكلّ لبيب " [2] .

وإنّ " ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن وانحطاطه في ذلك حسب مصادفة الكلام بما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال " [3] ، وهذا ما أكّده الخطيب القزويني " وأمّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال " [4] .

و للمقام حضورٌ ذو أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة ؛ وذلك لأنّهُ المحور الأساس الذي تدور حوله العناصر الحِجاجية من مقدرات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية وقيـــم أُخرى [5] ، وهذا ما أشارت إليه المدارس اللسانية حيث اتخذت العلاقة بين المقام والمقال محورًا اساسيًا لتُنشيء عليه مبادئها , ومن ذلك قول (فان دايك) الذي يرى " أنّ المهمة الثانية للتداولية يجب أن تُنزل هذه الأفعال في

---

[1] - الصناعتين الكتابة والشعر : 135 .

[2] - مفتاح العلوم ، السكاكي أبو يعقوب يوسف، مكتبة مصطفى البابي للطباعة والنشر والتوزيع مصر ،ط 2 ،1990 : 256 .

3 - مفتاح العلوم : 95.

4 - الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة مصطفى البابي للطباعة والنشر والتوزيع , مصر، د.ط ، 1980: 80.

5 - يُنظر : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة :83

موقف معين وأن تصيغ الشروط التي تنصّ على أيّ العبارات تكون ناجحة في أي موقف من المواقف, وإنّ اللفظ التقني الذي نستخدمهُ في مثل هذه المواقف هو مصطلح السياق لذلك نحتاج إلى لفظ مخصوص حتى ندل به على صفة اطّراد النجاح التداولي في العبارة المُتلفظ بها " [1] .

من هذا نستنتج أنّ نجاح خطاب ما يعتمد بالدرجة الأولى على مراعـــاته للمقام وقد نوّه (الدكتور صلاح فضل) إلى هذه المطابقة معرفًا بها على أنَّها " العلم الذي يعني العلاقة بين بنية النصّ وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظّم ممّا يطلق عليه سياق النصّ, ويأتي مفهوم التداولية هذا ليعطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية لكل مقام مقال" [2]

وفي سياق ما تمَّ بيانه نخلص إلى أنَّ لمُطابقة الكلام لمقتضى الحال أهمية كبيرة في النصّ الحجاجي من حيث الوصول إلى تقبّل وجهة النظر المطروحة من المخاطِب وتجدر الاشارة أنّه لابدَّ من التوافق بين - المقام والمقال- من حيث الآليات التي تتوسد النصّ لإنجاح العملية التواصلية فيه على أحسن صورة ، ومن الشواهد الحِجاجية التي تظهر غاية الشاعر في الإقناع والاذعان من حيث مراعاته لمقام المخاطَب.

من ذلك قول أبي صَخر الهذلي :(من الطويل) .

أمَا والذي أبْكَى وأضْحكَ، والـــــــذي أمَات وأحيا، والذي أمرُهُ الأمر

لقد تَركَتْني أحسُدُ الوحـــشَ أن أرى أليفينِ مِنْهَا لا يَرُوعُهُما الذُّعرُ

---

1 - النصُّ والسِياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك ، تر:عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق للنشر والتوزيع, المغرب، د.ط ، 2000 : 257.

2 - بلاغة الخطاب وعلم النص , صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة للنشر والتوزيع ,الكويت د. ط ، 1992: 26.

فَيَا حبَّها زِدني جَوىً كـلَّ لَيلَـــــةٍ ويـا سَلوةَ الأيّامِ مَوْعِـدُك الحَشر[1]

إبتدأ الشاعر نصّهُ بالقسم بمن بيده مقادير الأمور تأكيداً منه على معاناته ومدى اشتياقه للمحبوبة , وقام هذا على حسن اختيار الألفاظ ووضعها في مكانها المناسب ويحرص الشاعر على إظهار مشاعره ولواعجه للتي هجرته لعلّ قلبها يلين حتى أنّه راعى كلّ وسائل الاقناع وموظفًا الطباق القرآني في قوله تعالى:

﴿ وأنّه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيا ﴾[2]،(أضحك وأبكى),فعلان متضادان وتوظيف الشاعر لهما في النصّ (أبْكَى وأضْحكَ- أمَات وأحيا) للتوكيد ولتوطيد العلاقة بين اللفظ المُختار والمقام, وهنا يكمن جوهر الحِجاج ، فنجده يحسد الوحوش , لِقربها بينها وبين مَن تُحب وهذا ما لا يجده ، إلى ذلك عمد الشاعر إلى توظيف ألفاظ معينة من شأنها التأثير في المُتلقي وحمله على الإقناع ليستميل قلب المحبوبة , فالشاعر هنا لجأ إلى طرائق عدّة ويوجّهها نحو " غاية يُجند لها كلّ جزيئات القول ودقائقه" [3] فهذه الأبيات عبارة عن بنيات حِجاجية قائمة على عدد من الحِجج لتخدم بذلك نتيجة واحدة وجمال الأبيات متأتٍ من مناسبتها لمقتضى الحال، ومُراعاة الشاعر للمقام ومقتضيات الحال والخوض في فنون من الإقناع أهمها الإثارة باعتماد كلّ ما من شأنه أن يحرّك النفس فتذعن لهُ وتنقاد رغبة أو رهبة.

ومثالهُ أيضاً ما ورد من قول الشاعر متوسّلًا للُقيا المعشوقة فيقول : (من الوافر)

لَقد بَـــخلتِ عليّ بِـــكُلِ شـــيءٍ مِن المعروف حتّى بالسّلام

فقُلت لها: بخلتِ عليّ يقضى فجـــودي بِالــخيال لمُــستهام[4]

---

1 - الحماسة ، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، تح :عبد الله بن عبد الرحيم ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية المجلس العلمي 14 ، د.ط ,1981 :11/2. ويُنظر الأغاني أبو فرج الاصفهاني , دار الكتب المصرية والهيأة العامّة للكتاب , د.ط د.ت: 185/5 .

2 - سورة النجم :43

3 - الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه :88 .

4 - حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء أبو محمد عبد الله بن محمد , تح: محمد جبار المعيبد , دار الكتب والوثائق , المكتبة الوطنية – بغداد ,د.ط,1974 :2/ 76 . ويُنظر: البداية

استطاع الشاعر أن يبني حُجته ببراعة وتفنُّن من حيث اختيار الألفاظ ومناسبتها لمقتضى الحال؛ للوصول إلى قلب معشوقته بقوله : (بخلتِ عليّ يقضي فجودي بِالخيال لمُستهام), وعليها يؤسس حِجاجه وبذلك يظهر مُعاناته وحرقة قلبه بغية التأثير وجذب أنتباه المعشوقة ، راجيًا منها أن لا تقطع ودّها منهُ فيطلب منها بحرقة قلب أن تجود بالخيال ؛لأنّه مستهام بها فلا يجد حلاً إلاّ اللقاء في المنام وهذا يرجع إلى الترابط المعنوي بين المفردات على مستوى الجملة إذ يعمد الشاعر إلى اختيار كلمة أو أخرى تُناسب المقام, لتؤثر في أذهان المُتلقين وإنَّ هذا الترابط يضيف بعدًا معنويًا خاصًا من شأنهِ استمالة ذِهن المُتلقي [1] ، مُحققًا بذلك التغيير والعدول عن الموقف الصارم الذي يتخذه المُتلقي .

وآخر متوسّلًا ونادمًا على هجر محبوبته ، قائلًا (من الطويل) .

هَجَرتُكِ أَيّاماً بِذي الغَمرِ إنَّني عَلى هَجرِ أَيّامٍ بِذي الغَمرِ نادِمُ

وَإنّي وَذاكَ الهَجرَ لَو تَعلَمينَهُ كَعازِبَةٍ عَن طِفلِها وَهيَ رائِمُ[2]

يكشف النسيجُ اللغوي لهذين البيتين الحبُّ والوجد و اللوعة والندم , مُعبّرًا عن ذلك بطاقة حِجاجية تُلامس شغافَ قلب المُتلقي وتداعب أفكاره حتى أنّهُ شبّه نفسه كأمٍّ غابت عن صغيرها فهي مشتاقة لهُ متمثل بقوله:(**كَعازِبَةٍ عَن طِفلِها وَهيَ رائِمُ**)، ليحظى برضى المحبوبة بعد سخطها فإنّ " رضى المحبوب بعد سخطه لذة في القلب لا تعذلها لذة وموقفًا من الروح لا يفوقه شيء من أسباب الدنيا " [3] فالاستمالة جاءت من حيث اختياره للمفردات الآتية : (على الهجر - بذي الرغم -

---

والنهاية :إسماعيل عمر ابن كثير, مطبعة السعادة للطباعة والنشر والتوزيع , مصر - القاهرة ج/11 , د.ط 1358 : 186.

1 - يُنظر: الحجاج في القران الكريم ، عبد الله صولة :73 .

2 - الحماسة ، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ،11/ 98. ويُنظر : ديوان ابن الدمينة أبي العباس ثعلب , تح: راتب التفاخ , مطبعة المدني للطباعة والنشر والتوزيع , دار العروبة ,د.ط 1959 : 21 .

3 - طوق الحمامة في الالفة والالاف، ابن حزم الأندلسي, تح: أحمد مكي ,دار المعارف للنشر والتوزيع ،القاهرة - مصر، ط1 ، 1975: 101 .

نادم – رائم) جاعلًا كلامه مقنعًا ومتناسبًا لمقام الهجر ليكوّن صورة تخدم الحجج المقدِمة ليصل بها إلى رضى المحـبوبة .

ولو أَخذنا قول شاعر آخر نلمس من قوله شِدة الوله, ومرارة الحب مخاطبًا قلب محبوبته قائلًا : (من البسيط)

أُحُب مِن حُبّكم مَنْ كانَ يَشبه حتَى لقد صِرتُ أهوى الشَّمسَ والقمَـــرا

أمرّ بالحجر القاسي فألثـُمـه لأن قـلـــبك قاسٍ يُشـبـــه الحَـــــجَـــرا[1]

فالسياق أعلاه لوم وعتاب مُمتزج بشوق وحب وهذا ما لا يخفيه الشاعر ، فهو محتاجٌ لحُبّه وسلوته , فحشّد لها ألفاظًـا تُلائم المقصد والغاية التي يتبنّاها علّ قلب محبوبته يرق ويلين لهُ وإن كان من حجٍر ، فتوظيفه (للشَّمسَ والقمَر) جاء بقصدية فهواهما لأنَّهما يُشبهان المحبوبة وإنّ هذا الاختيار له سحر على الأسماع ، فالشاعر لابدّ أن يعتني باللفظة ومدى فاعليتها مع النصّ وتأثيرها بالمُتلقي" فيبني حجته في اللغة وباللغة إنّما يفعل ذلك دون أن يلحظ القارئ هبوطاً في مستوى الصياغة الفنية إلاّ فيما ندر فتحافظ اللغة على رونقها والتراكيب على سلامتها بل على طاقتها الايحائية حين تعدل عن المألوف وتخرج عن السمت العادي للكلام " [2] ، مراعيًا لحال متلقيه وهو بهذه الكلمات يضعه أمام حججٍ مقنعة تـثير الانتباه ليصل إلى القصد الذي يريده حتى أنّه من كثرة حُبّه يلثم الحجر في قوله (فألثمه) ؛لأنّ قلب محبوبته يشبهه لكنّه على الرغم من كلّ هذه القسوة يحبها.

وقد رسم شاعرٌ آخر صورةً معبّرة وموحية في جعل جمال المحبوبة معادلًا لجمال البدر فيقول :(من الطويل)

شَبيـــهك بـــَـدرٌ في السَمَاءِ مَحَـلـهُ فَكُنت إذا ما غِبتُ آنس بالبـــدر

فَغظتُ على بدرِ السماءِ غمامةٌ فَصار عَليّ الغيمُ ايضًا مع الدّهرِ[3]

---

1 - حماسة الظرفاء :84/2 , ويُنظر : نُزهة الأدباء وطرفه الظرفاء , بدر الدين الدمياطي تح :محمد فؤاد وعبد الستار فوزي , دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع, د.ط , 2011 : 242.

2 - الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه :439

3 - حماسة الظرفاء : 2 /87 .

يلجأ الشاعر إلى تصوير جمال محبوبته بالبدر راسمًا صورةً ذات طاقة حِجاجية جميلة لها فاعلية تستميل ذِهن المُتلقي تعبّر عن الفراق والشوق, فهو أسير للقُياها وشاكٍ لها أسى الدهر ومدى معاناته , فوسيلته الوحيدة وحجته للتودّد هي التوسل والالتماس ، وما توسّله إلّا لنيل قلبها مراعيًا بذلك المقام ومقتضى الحال ، وهو يشكو حاله من قسوة الدنيا والحب ففي قوله:(فَصار عَليّ الغيم ايضًا مع الدهرِ) يبيّن كيف أنّهُ كان مُستأنساً بالنظر إلى شبيه محبوبته ألا وهو (البـــَـدرُ في السَمَاءِ) لكنّه يستدرك القول ويقول إنّ (الغمامة) جاءت لتغطي ذلك الجمال, إشارة منـه إلى سوء حظه في ذلك الحبّ فهذه حجة دامغة يستعطف بها قلب المحبوبة وينال قربها ,وكل ما سبق هي حِجج ذات قوة تأثيرية وظّفها الشاعر ليستميل بها من يُحب .

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ الشعراء في قصائدهم يهتمون بالمقام ويراعون مقتضى الحال فيتوجه بذلك الكلام حسب الوضع العام للمتلقي ومدى مكانته وهذا ما نجده في القصائد المدحية, فالشاعر يحتج لممدوحه جاعلًا من المدح أداةً للكسب والقرب من راعي السلطة لينال منه مايريد ويرغب .

كذلك الشاعر(مروان بن أبي حفصة) الذي كان مادحًا متكسّبًا يذكر فضائل وكرم ممدوحه مقدمًا بذلك حِججاً مُغرية تذعن لها القلوب قاصدًا بها إقناع الخليفة؛ ليدرّ عليه الدراهم من ذلك قوله مادحاً(معن بن زائدة):(من الكامل) ·

مَعنُ بنُ زائِدَةَ الَّذي زيدَت بِهِ شَرَفاً عَلى شَرَفٍ بَنو شَيبـــانِ

جَبَلٌ تَلوذُ بِـــهِ نِزارٌ كُلُّـــــهـــــا صَعبُ الذُرا مُتَـمَـنِّعُ الأَركـــانِ

إن عُدَّ أَيّامُ الفَعـــالِ فَإِنَّـــــــما يَوماهُ يَومُ نَدىً وَيَومُ طِـعـــانِ

تَمضي أَسِنَّتُهُ وَيُسفِرُ وَجهُهُ في الرَوعِ عِندَ تَغـــَيُّرِ الأَلـــوانِ

يَكسو الأَسِرَّةَ والمَنابِرَ بَهجَـةً وَيـــــزَينُـــها بِـــجَـــهارَةٍ وَبيـــانِ[1]

1 - الحماسة الشجرية، هبة الله بن علي بن حمزه العلوي الحسنى ابن الشجري ، تح: عبد المعين الملوحي و أسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة للنشر والتوزيع , دمشق، القسم الأول ، 1970 : 388 -389 . وينظر: معجم الشعراء , أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني تح: عباس هاني ,دار الكتب العلمية بيروت - لبنان, ط1 2010: 387.

نلحظ أنّ فطنة وذكاء الشاعر في هذا النصّ تبدو واضحة من حيث توظيفه الألفاظ باحترافية مُلائمة لمقام المُتلقي موظفًا دلالات ذات حمولات حِجاجية متجانسة ومتناغمة مع المقام ففي قوله (جَبَلٌ تَلوذُ بِـــهِ نِزارٌ كُلّـــــهـــــــا ، صَعبُ الذُرى مُتَمَنِّعُ الأَركـــانِ) وصفٌ للممدوح بالجبل الشامخ القوي الذي يلوذ قومه بسده ؛ ليحميهم من المخاطر، فالشاعر بدوره أدلى بدلوه وقدّم حُججه ؛ ليثير ويشد انتباه المُتلقي فهو يمدح لينال رضا الممدوح ، أستطاع الشاعر المُحاجج تَخيّر الألفاظ بدقة وعناية ؛ لاستمالة مشاعر الممدوح وليظفر بتحقيق ما يرغب ويصبو إليه وهذا ما عُرف به الشاعر (مروان بن أبي حفصة) إذ كان مختصًا بمدح الملوك والخلفاء والأمراء وكان بخيلًا ومقترًا على نفسه يمدح ليتكسّب ويحصل على الأموال والعطايا [1] .

ممّا جعله يوظّف هذه الحِجج ليقنع الـــــممدوح أنّ مقامـــــه عاليًا ليحصل على العـــطايا .

وفي نصٍ آخر للشاعر (محمد بن مناذر) نلحظ تجليات الأبعاد الحِجاجية بصورة جليّة لإثـارة المُتلقي وإذعانه من ذلك قـــوله: (من الطويل)

إذا نـــزلوا بطحاء مكة أشـــــــرقـت بيحيى وبالفضل بن يحيى جـعفر

فمـا خـــــــلقت إلا لجـــودٍ أكفـــهـــم وأقـــدامهم إلا لأعـــواد مـــنبـــر

---

1 - يُنظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الإمام الحافظ المؤرخ أبو عبد الله شمس الدين - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تح: مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية للطبع والنشر والتوزيع ، لبنان بيروت , د.ط ،1971: 5 /138.

إذا راض يحيى الأمر ذلت صعـــابه ونـــاهيـــك من راعٍ لـــه ومـــــــدبر[1]

جـــــاء النصّ مكتظّاً بدلالات حِجاجية ذات تأثير مباشر بالمُتلقي مقدمًا بذلك صورًا موحية إذ حاول الشاعر أن يوجّه الأنظـــار إلى نصّهِ ؛ ليستميل ذهن المُتلقي وتشكيل قوة تتسلّط على حواسه بلغة موحية مؤثرة تهوي إليها النفوس فقد وظّف حِججاً تتضمن معنى السخاء , والبـذل الوفير كما في قوله :(فمـــا خـــــــــلقت إلا لجـــودٍ أكفـــــــهـــــم) فأفـردهم وفضّلهم عن غيرهم ، فبنى حُججه بدلالـــة ذات قوة تأثيـــرية ؛ لـــينجز بـها مقصدهُ وغايـته مراعيًا حال المُتلقي ومقامـه .

أمّا إذا كان المقامُ مقامَ حماسة فالشاعر بهذا الصدد يهيئ حِججاً معتمدة لها أثر جليل في ذات المُتلقي ؛ للعمل على إغـــرائه وحثّه على القتـــــال وعدم الاستســـــلام لأنّ المقام يحتاج منه أن تكون هذه الالفاظ قوية وفعّالة لتجذب وتقنع المُتلقي على القتال والدفاع عن قبيلته .

ومنه قول (أبي عبـــــدوس) شاعر الأنبيـــــاء: (من الكامل) .

الحرْبُ أن بَاشرتـــــَـــها فلا يكُن مِنكَ الفشـــــل
أصبِر على أهوالـــــــها لا مـــوت إلّا بالأجـــل
قد يَشهدُ القومُ الوغَى فَيقتُل النـــــكس البـطل
وآفةُ الرأي الـــــــهـوى وآفةُ الـــعَـــــزم الكَـسل[2]

إذ يعتمد شعرُ الحماسة بصورة عامّة على إثارة عواطف الناس من حيث إظهار المشاعر واشعالها إضافةً إلى الاعتناء باللغة والألفـاظ والصيغة التي يقدمها مراعيًا

1 - الحماسة الشجرية ، القسم الأول :398 -399 , ويُنظر ربيع الأبرار وفصوص الاخبار في المحاضرات , ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري , تح: طارق فتحي السيد , دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع , د.ط , 2006: 1/ 257 .

2 - حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء : 43 , ويُنظر طبقات ابن المعتز, عبد الستار احمد العراج , دار المعارف للنشر والتوزيع , مصر- القاهرة ,د.ط , 1956 :419 .

بذلك مقام المُتلقي ولأجل " إقناع شخص ما لابد من إثــارة انفعاله أي ميوله وأذواقه ورغبــاته اعتقاداته واستعداداته " [1] وهذا ما عمد إليه شاعرنا , فالمعاني في هذا النصّ تـــــتســـــم بالقوة التأثرية التواصلية الحِجاجية منها :(الصبر على أهوالِ الحرب وعَدم الخوف من الموت والابتعاد عن التكاسُل) فهدف الشاعر الأساس هو التــأثير بالمُتلقي واستمالته وتغيير أرائِه ؛ لرفع الهِمم وشدّ العَزم للظفر بالنصّر.

ومنهُ قول الشاعر (علي بن محمد البرقعي) :(من البسيط)

العزُ تَحت ظِلال السَيف مَوضعهُ فَاطلُب بِسيفكَ عِـــــزّاً آخر الأبـد

لا ترضَ بالدون مِن دُنيا منيت بِها قَد ذلّ مَن كَان مُحتاجاً إلى أحد[2]

إنّ نسيج النصّ أعلاه حماسي دون شك, فالشاعر جعل نصّهُ متناصاً مع حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم بقولهِ ((الجنة تحت ظِلال السيوف))[3] تمجيدًا للسيف وإعلاءً لمكانته وتوضيحاً لمدى أهميته ، فالشاعر هُنا مارس سُلطته على المُتلقي وقدّم حِجّته بطلب العز ورفض الذل , ولا نجد حِجّةً ذات طاقة إقناعية أكثر من هذه وبذلك راعى ظــروف وأحــوال المُتلقين , إذ عمد إلى تقديم حِججٍ موحيةٍ ومقنعةٍ بقوله (لا ترضَ بالدون مِن دُنيا منيت بِها) فجعل المُتلقي ملتفتاً ومتنبهاً إلى أنّه على قدر المسؤولية في الدفاع والاستبسال, وعدم الركون والاعتماد على الاخرين

أمّا إذا كان المقامُ مقامَ فخرٍ واعتزازٍ بالنفسِ حين خاطب(عنترة بن شدّاد) عمرو بن معد يكرب متحدّثاً عن كرمهِ وشجاعتهِ قائلًا :(من الكامل)

انّي امروٌ مِنّي السّماحةُ والنَّدى والبَأْسُ أَخْلاقٌ أَصَـبْتُ لُبَـــابَــها

---

1 - الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، حافظ اسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، أربد - الاردن ، ط1 ، 2010: 414.

2 - حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، 1/59-60 , ويُنظر: شرح شواهد المعنى جلال الدين عبد الرحمن ,تح: أحمد ظافر كوجان , لجنة إحياء التراث العربي , سوريا - دمشق د.ط , 1966: 409 .

3 - الموسوعة الكبرى لأطراف الحديث النبوي الشريف , جمع وإعداد: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني بن السيد بن محمد بن علي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، 1971 19 /435.

وأنا الرّبيعُ لِمَنْ يَحُلُّ بِسَاحتـــي أَسَدٌ إذا ما الـــحربُ أَبْدَتْ نَابَـــــها

وإذا لَقِيتُ كَتِيبةً طَاعَنْتُـــــــــها وَسَـــلَبْتُـــها يـومَ اللِّـــقاءِ عُقَابَـها

فاذهبْ فأنت نَعَامةٌ مَذْعُـــورة وَدَعِ الرِّجالَ قِتـــــالهـــَا وســبابَها[1]

في هذا النصّ ركّز الشاعرُ على تصوير شجاعة وكرم و صرامة(عمر بن معد يكرب) في المعارك وتصديه للأعداء ، فنلحظ تلاقي عددٍ من الصور تعبيرًا منهُ على الفخر بالنفس والإعلاء من شأنها مقدمًا بذلك مـعانٍ متلاحمة ومتجانسة مراعيًا المقام , ليحمل المُتلقي على الإقناع والإذعان " ولذا يبدو أنّ البحث في المقام هو في جوهره انشغال بالمُتلقي باعـتباره الهدف المقصود في الخـطاب والمـوجه لهذا الخطاب أيضا " [2] معبّراً عن ذلك في استعماله ألفاظ :(السّماحةُ والنَّدى والبَأْسُ والرّبيعُ وأَسَدٌ)، مدعوماً بتصويره للحمولات الدلالية التي مُرادها إظهار القوة والشجاعة وإن كان قد استعمل بعض الألفاظ التي تحطُّ من قيمة الخصم لإظهار قوة المتخاصم ففي قوله: (فاذهبْ فأنت نَعَامةٌ مَذْعُورة) دلالة على أنّ الشاعر عمد إلى التقليل من قيمة الآخر ليكون محاججًا مقنعًا ودالًا على قوته وشجاعتهُ .

وكثيراً ما يعمد الشاعر الحماسي إلى تقديم حِجج للنصح والإرشاد, في محاولة منهُ للتأثير في نفوس المُتلقين ولتحفيز مشاعرهم وعواطفهم من هذا قول الشاعر (سابق البربري) الذي وجهه إلى الخليفة (عمر بن عبد العزيز): (من البسيط)

إن كـنـتَ تَـعلَمُ مـــا تـأتـي ومـا تـــــــــَذَر فَـكُـن عـلى حَـذر قـد يَـنـفَـعُ الحَـذَرُ

واصبِر على القَدَرِ المَجلُوبِ وارضَ به وإن أتـاك بِـمَـا لا تَـشتَهِـي القَـــــــدَرُ

واستَـخبِرِ النـاسَ عـمّـا أنـت جَـاهِلُـــه إذا عَـمِيتَ فقد يَجلو العَمَى البَصَـــــــرُ

1 - الحماسة الشجرية ، القسم الأول : 27 .

2 - الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه : 89

يجلو السؤال الدجى عن قلب صاحبه كما يتجلى سواد الليلـــــة القـــــــــمر

و ربما جـــــــاءني مـــــالا أؤمـــله وربما فات مـــــــــــأمول و منـــــــــتظـــر

ابعـــد ادم ترجـــون الـــخـــلـــــــود وهل تبقى الفروع إذا مـــا الأصل ينقعر

من عاش أدرك في الأعداء بـــغيـــته ومن يمـــت فله الأيـــــــام تنتـــــــصر[1]

الشاعر في هذا النصّ يتحدّث عن قيم روحية كالإيمان بالقضاء والقدر والتقوى والهدى والحق , فتكشف دلالة النصّ عن مدى ذكاء الشاعر ونباهته وأسلوبه الخبري الذي يقوم على الإقناع وتقديم الأدلة والحـــجج للنصح والإرشـــــاد ، فالنصّ" بوصفه خِطابًا حِجاجيًا لابد أن يخضع إلى قواعد وشروط القول والتلقي وتبرز فيه مكانـة القصـدية والـــــتأثير والفعـــّالية ومنـهُ قيـــمة أفعـال الـذوات المخاطبـة ومكانتـــها " [2] معتمدًا بذلك على قوة التراكيب وانسجـــامها مستحضرًا جملًا ذات فاعلية مباشـــــرة ليبلغ تـأثـِيـرها بالمتلقي (الخليفة) ،حتى قيل إنّـهُ غُشي عليه من البكاء لمّا سمع الأبيات من الشاعر[3] . ومن هذا قدّم شعره بصورة معبّرة وموحية جـــميلة ليقتحم بها عالم المُتلقي ويـــؤثر بـهِ احتجاجًا منه وقصدًا لتسيـــر دفـّة الحكم إلى وجـــهتها الصحيحة.

---

1 - حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء:1 /161-160 , ويُنظر: الكامل في اللغة والادب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد , تح: محمد أبو الفضل , دار النـــهضة, القاهرة , د.ط د.ت :42/2.

2 - أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، مثنى كاظم صادق ، دار ومكتبة عدنان للنشر والتوزيع بغداد شارع المتنبي ، ط1، 2015 : 51.

3 - يُنظر : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز , جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي , ضبطه وشرحه : الأســـتاذ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع بيـــروت - لبنان ، ط1 1984 :171.

في حين يوظّف الشاعر (القَسيم بن الهُذيل) حِجته في بِنية النصّ الشعري التي تُفضي إلى إسعاف الكـريم واعانته بحاجته وانجاده مؤسسًا أفكـــاره ورؤاه التي يُريد إيصالها للـمتلقي لزيـــادة درجـــــة التسليم بـأمر ما، فيقول في ذلك: (من الطويل)

لا تَـحـــقـــــرَنّ ذا بؤسٍـــة أن تنيـــلهُ وإن كان بينَ الناسِ وهو حقيرُ

فإن عسى أن يـــــرفعَ الـدّهرُ طَـرَفهُ واللهِ راعٍ بـــــالـــعبادِ بَصـــــــــيرُ

فَيلقاكَ يومًا ثُم يُجـــزيكَ مِـــثـــــــلهَا وأنتَ إليهـــَا عِندَ ذَاكَ فَـــقِـــيـــرُ[1]

لقد أحسن الشاعرُ في اختياره للألفاظ من حيث تأثير طاقتها الحِجاجية على المُتلقي والتي تتـــأتى من انسجامها وارتـــباطها في بنـــــية النصّ وهذه هي الوظيفة

الأساسية الذي يقوم بها الشاعر ليخضع مُتلقيه إلى الاستجابة لما يريد ، فالشاعر جعل مقاماً للحِجة وآخر للنتيجة فحِجته متمثّلة بترك الاحتقار ليقابلها نمط من النتائج متمثل بجزاء الخير والإحسان واليسر إذ لابـــد من " انتاج متواليات من الأقوال بعضها هو بمنزلة الحِجج وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج " [2] .

وهذا ما جاء به كُل من (ديكرو وانسكومبر) فالخطاب عندهما أو أي نصّ آخر يفرض على المخاطب نوعًا محددًا من النتائج لإنجاح العملية التواصلية بيـن طرفـي الخـطـاب [3]، فدعوة الشاعر إلى مساعدة الاخرين مدعـومة بِحِجج دقيقة رصفها رصفًا متلائمًا مع مقام وحال المُتلقي ؛ ليقوده إلى الإثارة والانتباه وتحمله إلى

---

1 - الحماسة أبو عبادة الوليد بن البحتري ، تح: محمد ابراهيم حور و أحمد محمد عبيد ، هيأة أبوظبي للثقافة والتراث - المجمع الثقافي الإمارات العربية المتحدة ، د.ط ، 2007 : 487 .
وينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي , أحمد قبش , دار العروبة للطبع والنشر والتوزيع , د.ط , 2009: 119.

2 - الحِجاج في اللغة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته , أبو بكر العزاوي : 16.

3 - يُنظر : الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: 33 .

الإقنـاع والإذعان والتسليم لمـــا يريد , لِذا اهتم الشعراء بالحِجاج وعدّوه عنصرًا مهمًا من عناصر التأثير بالمُتلقي موظّفين أساليب الإثارة والتأثير والإقناع للتسليم بالنتائج والقبول بها , وهذا الأمر يقودنا إلى ضرورة مفادها الاهتمام بالفضاء الذي يعوم به المُتلقي ومراعاة الكلام ومقتضى الحال ، إذ لابدّ من الموازنة بين الخطاب المُقدم والهدف المنشود والأخذ بنظر الاعتـبار في كيفية توظيف تجلّيات حوارية تواصلية حِجاجية تُلائم المقام وتتسق وتنسجم مع حال المُتلقي للتمكن من الاحتجاج لرأي ما أو لدحض فكرة مـــعينة .

المبحث الثاني

اساليب الاداء اللغوي

واستراتيجية الاقناع والتأثير

توطئة:

تقوم اللغة في الخطاب الحِجاجي بدورٍ مهم وفعّال فهي ذات إمكانات حِجاجية و للشاعر أساليب عِدّة يبتغي منها أن يصل إلى مراده في اقناع المخاطَب , إذ تلعب هذه الأساليب دورًا فعّالًا في النصّ الشعري الحِجاجي الذي يجنح به الشاعر إلى التناسق والتناغم ليشحن النصّ بشحنةٍ حِجاجية فتترك سطوتها في ذات المخاطب ليحقّق بهذه الشحنة التأثير والاستمالة التي يصل بهما إلى الهدف المنشود إذ إنّ

شعرية أي نصّ سواء كان قديمًا أم حديثًا تتألـــف من " تواشج العناصر الأسلوبية واللغوية في سياق ملائمٍ يخدم الدلالة الكلية للنص وذلك عن طريق رصف الكلمات بعضها إلى بعض , ومن ثمّ تشكيل العبارة التي تتخذ مع الأخرى لتأسيس البيت وهذا البيت ينبغي أن تربطه علاقةٌ عضوية مع البيت السابق واللاحق مما يشكّل علاقة عضوية لتأسيس البناء التركيبي للقصيدة"[1] .

فـ " الجملة بطبيعتها تتكون من مجموعة متألفة من المفردات التي تكوّن في النهاية مفردة مفيدة وهذا المعنى تكون أساساً في صورة ذهنية لدى المتكلّم وهو بدوره يسعى لينقله في أجمل صياغة حسب الأساليب وهذا مؤشر مهم يبيّن لنا أنّ الشعر " لغة داخل اللغة"[2]. وهذا ما جعل كلّ من (ديكرو و انسكومبر) من المهتمين بالبنية اللغوية للنصّ الحِجاجي وما تكمن بداخلها من أساليب لغوية من حيث استراتيجية الإقناع والتأثير والتي بدورهـــا تسهم في تصويب المخاطب نحو الغاية المبتغاة .

وأيضاً لابدّ من الاهتمام " بمتانة الأسلوب وصلابتهِ وتماسك الألفاظ مع بعضها ؛ لأنّها تدلُّ على قدرة ومهارة الشاعر في التركيب والبناء الفني وخلق سياقات شعرية مُناسبة " [3] لإتمام العملية التواصلية بين الباث والمُتلقي , وبذلك يكون للنص الشعري الحِجاجي فعّالية لغوية ذات دلالات مُهمة تكمن في جوهر الشعر من

---

[1] - البناء الفني في شعر ابن جابر الأندلسي، د. سلام علي الفلاحي، دار غيداء للنشر والتوزيع, عمان، ط1 , 2012: 105.

[2] - بنية اللغة الشعرية، جان كوهن, ترجمة محمد الولي, ومحمد العمري، الدار البيضاء- المغرب دار توبقال للنشر، ط1، 1986: 129.

3 - الصورة في الشعر العربي (دراسة تنظيرية وتطبيقية في شعر صريع الغواني مسلم بن وليد) د. احمد علي ابراهيم الفلاحي , ط1 , 2013 : 168.

حيث المفردات اللغوية وصولاً للتركيب , فإذا كان الشعرُ تجربة فالمفردات نِتاج تلك التجربة والذي يعبّر عنها الشاعر بأفكاره ومشاعرهِ و انفعالاتهِ ليقنع بها المتلقي [1].

ومن هذا المنطلق سعى الشعراء إلى توظيف أساليب لغوية وبطريقة تتسق وتتطابق مع مقام المتلقين؛ لإثارة السلوك والانفعالات لديهم لذا تنوّعت أساليب الأداء اللغوي من شاعر إلى آخر في كتب الحماسة من حيث الصور الموحية والألفاظ المتواشجة في نصوصهم .

الملاحظ ممّا سبق إنّ غاية الشاعر تتجلّى بإيصال فكرة معينة تختلج في ذاته بقصدية وهذه الأخيرة عُدت لبّ العملية التواصلية الحِجاجية ليصل بالفكرة إلى الآخر المخاطَب بوساطة تأثيرات تتجلّى بأساليب ترمي إلى التأثير فيه وأول تلك الأساليب في مبحثنا هو أسلوب الاستفهام .

❖ **الاستفهام:**

من الأساليب المُهمة في اللغة العربية لهُ علاقة راسخة ووطيدة بالعملية التواصلية الحوارية , وأثر بارز وفعّال في إنتاج نصّ شعري يقوم على ثنائية مهمة ألا وهي " المستفهَم هو المستفهِم عنهُ وبذلك تعدّ المحرك الأساس لبنية الاستفهام وتشكيلاته فإنّ ثنائية الحضور والغياب تسيطر على أجوائه إذ تنشطر عملية الاستفهام في كلّ مظاهرها إلى هذين البعدين " [2]. فهي تُشكّل في الدراسات اللغوية منحىً أسلوبياً مهمًا انطلاقاً من إمكاناته فهو يمنح النصّ سعةً دلاليةً ويجعله

---

1 - يُنظر: في التشكيل اللغوي للشعر مقاربات في النظرية والتطبيق، د. محمد عبدو فلفل منشورات الهيأة العامة السورية, دمشق ، ط1، 2013: 13.

2- المفاتيح الشعرية قراءة أسلوبية في شعر بشار, لطيف الشهرزوري , دار الزمان , دمشق د.ط 2012 :170 .

في حركةٍ مُستمرة ويحمل في تركيبه وأدواته دلالات تُمكّن المبدع من التعبير عن أفكاره ومشاعره للحصول على التأييد والقبول بما يُريد[1].

و " بنية الاستفهام في جوهرها بنية توليدية ، تهدف إلى كسر اسآد الدور المحدد الذي تؤديه صيغته لتكون دلالات جديدة تكتسب هويتها من خلال تفاعل عناصر السياق أو التركيب الواردة فيه " [2]. ويسميه كُلّ من (ديكرو وانسكومبر) بالاستفهام الحِجاجي الذي يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحِجاجية [3] فالسؤال ذو فعالية حِجاجية وهو" ينأى بالنصّ عن الوقوع في الصورة التقريرية المباشرة ويرسم صوراً إيحائية تزيد من المعنى دلالة وعمقاً ويتقبلها المتلقي بشغف ولهفة" [4] فيرتبط " بعواطف الشاعر وما يرمي إليه من معانٍ" [5] .

وإنّ طرح الأسئلة في الخطاب الشعري وسيلةٌ ناجعة من وسائلِ الإثارة والإقناع لإلزام المتلقي باتخاذ موقف معين ومما يدّل على أهمية البنية الحِجاجية الاستفهامية حضورها في كُلّ خطاب في بنيته السطحية أو العميقة مثيراً أسئلة تدعي جوابًا ومن ثم حِجاجًا , ولذلك الاستفهام والحِجاج متصلان اتصالًا وثيقًا ليستثير قضيةً تقوم ذاكرة المتلقي بإبراز المعرفة المشتركة مع المتكلّم ثم يترجم إلى فعلٍ سلوكي والمتمثّل في تقديم جواب [6] , وبذلك يكون النصّ الشعري عِبارة عن حِوار تواصلي

---

1 - يُنظر : أدبية الغزل العذري في ديوان جميل بثينة ، عبد الوهاب الرفيق ، دار صامد للنشر والتوزيع , تونس ، ط1 ، 2005 : 75 .

2- السبع المعلقات دراسة اسلوبية ، د. عبد الله خضر حمد ، دار القلم للنشر والطباعة والتوزيع بيروت – لبنان ،2017 : 76 .

3 - الخطاب والحجاج , أبو بكر العزاوي مؤسسة ، الرحاب الحديثة للطباعة, ط1 ، 2010 . 57

4 - البناء الفني في شعر ابن جابر الاندلسي : 105.

5 - المصدر نفسه : 77

6 - يُنظر: دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات , شكري المبخوت , دار الكتاب الجديد المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع , ط 1 2010 : 197 .

بين الأشياء والذات ينتج فضاءً تعبيرياً واسعاً، من طريق تقديمه لسؤال إلى المتلقي بلُغة عذبة متسقة وللسؤال الحِواري الحِجاجي أهمية في مضمار بحثنا هذا من حيث توظيف دلالة حِجاجية يراد بها الحمل على الإذعان للتأثير بالمتلقي واجتذابه للتفاعل مع مقاصد الشاعر، لذلك كان لهذا الأسلوب حضورٌ فعّالٌ في كتب الحماسة .

وممّا ورد في كتب الحماسة من امثلة على هذا الأسلوب قول الشاعر الذي أراد أن يوظف الاستفهام كأداة حِجاجية يصل بها إلى ما يرغب ويريد فيقول :من الطويل .

هَـلِ الوَجـــدُ إلّا أَنَّ قَـلبـــيَ لَـو دَنـــا مـــنَ الجَمرِ قَيدَ الرُمحِ لَإحتَرَقَ الجَمـرُ

أَفـي الحَـقِّ أَنّـي مُـغـرَمٌ بِكِ هائـــمٌ وَأَنّـــــكِ لا خَـــــلٌّ هَـــواكِ وَلا خَـــمـرُ

فَـإن كُـنـتُ مَطبوبـاً فَـلا زِلتُ هَكَـذا وَإن كُـنـتُ مَسحـــوراً فَـلا بـــــرَأَ السِحـــــرُ[1]

إنَّ أداة السؤال التي افتتح بها الشاعر نصّه أراد بها الإقناع فتظهر في النصّ (أنا الشاعر) المتأزمة وهو يخاطب المعشوقة بشجنٍ ووجد ؛ ليولّد طاقة حِجاجية إقناعيـــــة ينال بها الرضا والقبـــول ويحظى بما يريد فجملة (هل الوجد) دالّة على الاستفهام الذي جاء لغرض النفي لوجود – إلّا - بعدهُ والمعنى (ليس الوجد إلّا هذا الذي بي) وهو احتراق القلب ولهيب النار به , يقول إنّ قلبي لو قرب من الجمر لغلبت ناره ولهيبه نار وحرارة الجمر حتى أنّ الجمر كاد أن يحترق فقد عذّبه الهوى والهيام , ثُمّ يسأل في البيت الثاني (أفي الحق) وهو استفهام إنكاري متعلّق بمشهد يوازن فيه الشاعر بين حبّه الكبير لمعشوقته مُقابل عدم وضوح موقفها منه فالاستفهام مشحون بطاقة حِجاجية غايتها التودّد , فيكشف عن مقدرة الشاعر الإقناعية في توظيف أسلوب الاستفهام بجاذبية ليؤثر بالمتلقي .

---

1 - الحماسة أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :290/2 , ويُنظر : سمط اللآلئ في شرح آمالي القالي , أبو عبيد البكري , تح :عبد العزيز الميمني , مطبعة لجنة التأليف للطباعة والنشر والتوزيع , مصر- القاهرة , د.ط , 1936: 403 .

ومن أمثلة ذلك قول الجارية التي أنشدت هذه القصيدة شوقًا إلى حبيبها قائلة: من (السريع)

يَا قَمَرَ اَلْقَصـــــــرِ مَتىْ تَطَلُّــعُ أَشْقَى وَغَيْرِي بِكَ يـَسْتَمْتِـــــعُ

إنَّ كَانَ رَبِّي قَدْ قَضَى كُلَ ذَا مِنْكَ عَلَى رَأْسِي فَما أَصْنَـعُ[1]

وهذه الأبيات ذكر مناسبتها الجاحظ (رحمه الله) حينما كان (محمد بن احمد الطوسي) جالسًا مع ندمائه وقد أخذ الشراب من رؤوسهم فغنّت جارية هذه الأبيات من وراء الستارة وكان واقفًا على رأسه غلام بيده قدح فوضع القدح من يده وقال للجارية أتصنعين مثل ذا؟ ورمى بنفسه من الدار إلى نهر دجلة وهو يردد(لا خير بعدك في البقاء - والموت زين العاشقين)، فلما رأت الجارية ذلك رمت بنفسها فوقه [2] فالنصّ جاء متشحًا بلغة الحزن والشوق والحنين والنصّ ابتدأ بـ(ياء النداء) التي تتضمّن معنى الشكوى وألم الفراق وهذا ما لمسناه في النصّ ، فالجارية هنا تتساءل متى يحين الأوان ليظهر قمرها وتشبع ناظريها من رؤيته فما تصنع إن لم يظهر؟ فالتساؤل الذي طرحته الجارية دفع المتلقي(الحبيب) إلى أخذ موقف معين يوجهه إلى وجهة معينة فيُحمّل الصورة الشعرية بذلك حمولات دلالية تُعمّق المعنى وتثير المتلقي جاعلةً منهُ مشاركاً فعلياً بالعملية التواصلية باحثاً عن أجوبة أثقلت من كاهل الذات وعلى هذا الاساس تأسست حِجة ذات طاقة حِجاجية إقناعية , وقد كشف النصّ عن هذه الحِجة التي جعلت المتلقي يُشارك الجارية في همّها الذي بثّتهُ في أبياتها والتضحية التي عبّرت عنها إن لم تحظَ بالحبيب .

ومن أمثلة الاستفهام الأخرى ما ورد في نصٍ لشاعرٍ آخر تتسم ألفاظه بالحكمة يقول فيه: من (الوافر) ·

---

1 - حماسة الظرفاء :2/ 116 , ويُنظر : معجم أشعار العشق في كتب التراث العربي , غريد الشيخ, دار النخبة للطباعة والنشر والتوزيع , لبنان - بيروت , ط2 , 2020: 370 .

2 - يُنظر : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ,زكي مبارك , مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع , د.ط , 2017 :316.

وَما ماضي الشَبابِ بِمُستَرَدٍّ وَلا يَومٌ يَمُرُّ بِمُستَعادِ

مَتى لَحَظَت بَياضَ الشَيبِ عَيني فَقَد وَجَدَتهُ مِنها في السَوادِ

مَتى ما اِزدَدتُ مِن بَعدِ التَناهي فَقَد وَقَعَ اِنتِقاصي في اِزدِيادي

أَأَرضى أَن أَعيشَ وَلا أُكافي عَلى ما لِلأَميرِ مِنَ الأَيادي[1]

ابتدأ الشاعر نصّه بلغةٍ حِجاجية مكثّفة , وقد كشفت التساؤلات هذه عن الضياع والشعور باحتضار الذات وفنائها يقول :(متى ما رأيت بياض الشيب في رأسي كأني أراه في سواد عيني) فيدل بذلك على العمى والأذى وكأنّه داءٌ أصاب العين وقذى بها. فيرى أنّ الشباب إذا بلغ نهايته وهذا يؤول إلى الضعف , وعدم القوة والقدرة فكلما ازداد في السن كانت تلك الزيادة نقصاناً ليس في العمر فقط وإنّما بالجسم ثُمّ يتساءل مرة أخرى بتوظيفه للاستفهام التعجبي (أ أرضى...) فهو يتحسّر ويحسّ بالتقصير واثبات العجز والتخاذل عن مدح الأمير الذي أسدى له الفضائل والنعم فالشاعر اتخذ أسلوب الاستفهام أداةً ذات حجة فاعلة تؤثر في ذهن المتلقي ليصفح عن تقصيره وتخلفه عن مدحه إذ يتساءل عن أمر يبعث في ذاته القلق فيحاول الإجابة عنه ليحقّق حالة من التوازن النفسي , فالسؤال هنا ذو فعالية تداولية ضمنت إشراك المتلقي ودعته إلى التحاور مع الشاعر بمعنى أنّ " المبدع حين يصطنع جدلًا مع المتلقي يكون قد أشركه معه في بناء المعنى إشراكًا ضمنيًا ويكون قد أعطاه حق

1 - حماسة الظرفاء: 2/ 55 , وينظر: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب , ناصيف اليازجي , تح : عمر فاروق , دار الارقم للنشر والتوزيع لبنان - بيروت , د.ط, د.ت: 102.

النقض وهو أهم ما يميز الاستفهام عن غيره من الأساليب " [1] فالنصّ حافل بالحِجج التي طلب بها الشاعر العفو والصفح بلغة جزلة ذات طاقة حِجاجية .

وفي نصٍّ آخر للشاعر (أبي بكر محمد الخالدي) الذي تفنّن في إيصال مشاعرهِ للحبيبة و نيل وصلها مقترن بأدوات الاستفهام قائلًا: من الطويل

فَكَمْ يا غَراماً جَائِراً تَرْشُقُ الحَشا بِأَسْهُمِ وَجْدٍ مِنْ فِراقٍ ومِنْ هَجْرِ

وقَفْتُ فؤادي بَيْنَ هَمٍّ وحَسْرَةٍ بِذِكْرٍ لَهُ يَجْري وطَيْفٍ لَهُ يَسْري

عَدِمْتُكَ يا مَنْ رَامَ شِعْري سَفاهَةً مَتى كُنْتَ مِنْ أَقْرانِ هاروتَ في السِّحْرِ[2]

نلحظ في النصّ صورة موحية دقيقة تُحقّق الاستمالة والقبول, فالحِجج الاستفهامية التي قّدمها الشاعر مقترنة بألفاظ (الشكوى- الفراق- الهجر- الحسرة والهم) بمقصدية مفادها التأثير بالحبيبة عَلّ قلبها يرّق ويلين حتى أنّهُ يتساءل مرة (كَمْ يا غَراماً جَائِراً...) وأُخرى (مَتى كُنْتَ مِنْ أَقْرانِ ...) فالشاعر لا يريد الانفكاك عن هذا الحبّ بالرغم من الأذى الذي تسبب به وذلك لأنّ ؛ " الحبّ هو حالة قصوى من حالات الشرط الإنساني كالخوف والقلق والموت فالإنسان كائن يحب ويهوى بل هو لا ينفك عن حبهِ للحياة التي تسري في كيانهِ ولا ينجو من هوى يسكنهُ يهيمن على مشاغله واهتماماته أو يتوارى خلف هواجسه ووساوسه " [3] , وبذلك قدّم

---

1 - أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي التركيب والموقف والدلالة دراسة نحوية وبلاغية, حسني عبد الجليل يوسف, دار الثقافة للنشر والتوزيع , جامعة ميتشيغان , د.ط ,2007: 3 .

2 - حماسة الخالدين : أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد بني هاشم الخالدي , تح: الدكتور سامي الدهان عضو مجمع اللغة العربية بدمشق , دار صادر للنشر والتوزيع , لبنان - بيروت ,د.ط , 1992: 56 .

3 - الحبّ والفناء تأملات في المرأة والعشق والوجود, علي حرب , دار المناهل للطباعة والنشر ط1 ,1990 : 75.

الشاعرُ للمتلقي نصّاً تشكّل على وفق رؤية دلالية لتعميق الفكرة وتعزيز الموقف وبثّ في ألفاظه الطاقة الحِجاجية التي أفصحت عن وجعه وولهه وصبابته وكانت موجّهاً حقيقياً لمشاعره .

وفي صورة شعرية أخرى مثقلة بالوجع والأسى يقول فيها: (من البسيط)

أما ترى الغيـــمَ يا مَنْ قـــلبه قـــاسي كأَنَّـــه أَنـــا مقيـــاساً بمـــقـــياسِ

قطـرٌ كـدمعي، وبـرقٌ مثـل نـار جـــوى ًفـي القلـب منّـي، وريـح مثـل أنفـــــاسـي[1]

إذ نجد رؤية الشاعر متسّقة متناغمة للحبّ والوله فالشاعر يلتمس القرب من الحبيبة مصوّرًا حاله كالغيمة التي أُثقل كاهلها فيقول: (قطرٌ كدمعي، وبرقٌ مثل نار وريح مثل أنفـــــاسـي) جاعلًا منها معادلًا موضوعيًا له متجلياً بصورة حِجاجية لتظهر خفاياها وتعلن عنها، فلغة النصّ تدلُّ على التوجّع والتحسّر فالاستفهام الحِجاجي هُنا جاء لتحريك المشاعر وجذب الانتباه واستكناه العواطف وليس لطلب الاستعلام كما معلوم لذا أنّهُ عمد إلى إخراجه عن مضمونه ليعبّر به عن لواعجه وأحاسيسه وشكواه.

أمّا في النصّ الآتي أراد الشاعر (ابن الدمينة) رسَم صورة تتسم بالشوق المفعم بالحبّ والهيام فقال فيه : من(الطويل) .

سلي البانة الغنّاءَ بالأجـــرعِ الـذي به البانُ هل حيـــيتُ أطـلالَ داركِ

وهل قمتُ في أظلالهنَّ عشـيـــــةً مقامَ أخي البأساء واخـــترتُ ذلـــك

وهل هملت عيناي في الدار غـــدوةً بـــدمعٍ كنـــظم اللـــؤلؤ المتـــهالـــكِ

أرى النـــاسَ يرجـــونَ الربيـــــعَ وإنمـــا ربـــيعي الـــذي أرجـــو نـــــوالُ وصالـــك

أرى الناس يخشونَ السنـــين وإنما سنيَّ التي أخشى صروفَ احتمالك[2]

1 - حماسة الخالدين , أبو بكر محمد الخالدي : 135.

2 - الحماسة , أبو تمام :2/ 61 , ويُنظر ديوان ابن الدمينة : 13-18 .

اتسّم النصّ بعبارات مائزة متّشحة بالآهات النابعة من ذاتٍ عاشقة حالمة بلُقيا الحبيبة , فالشاعر أراد أن يثبت مدى الوجد والحبّ اللذان يختلجان في ذاته موظّفًا بذلك أدوات الاستفهام وهذه الأداة هي (هل) التي تكررت في موضعين فعمّقت من اضطراب ومأساة الذات الشاعرة إذ ابتدأ النصّ بطرح اسلوب الأمر المتجلي بقوله (سلي البانة الغناء ....) والأصل منها أسألي حُذفت همزتها للتخفيف فيقول : سلي شَجَرَة البان العَظيمة النابتة بالأجرع الَّذي يُوجد بهِ البان هل حييت أطلالك مُكررًا (هل) مريدًا بهذا النسق المُكرّر أن يقدّم الحِجج ليستميل قلب متلقيه فيضفي لمسةً رقيقة يُزيد من التأثير به وإذعانه ولكن نلحظ أنّ لغة النصّ تكاد تكون باردةً ممزوجة بالخيبة واليأس ؛ لأنّها " تخضع لحساسية الشاعر" [1] ومدى تأثرهِ بالوضع الذي يمرّ بـــهِ حتى أنّه شبّه دموعه بحبات اللؤلؤ المتناثرة وسُرعة تساقطها وهذه حِجة يريد أن يتقرب بها من قلب المحبوبة .

لقد نجح وأبدع الشعراء في التنوع بتوظيف أدوات الاستفهام للتأثير في نفوس المتلقين وحملهم على الاقناع والاذعان تحقيقًا لما يروم في ذواتهم فجاء حضورها متفاوتاً بحسب الأغراض الشعرية المذكورة في كُتب الحماسة .

❖ النداء:

لقد احتل النداء أهمية في النصّوص الشعرية التي تجلّت في كُتب الحماسة إذ يرى فيه الشاعر أداةً مهمة للتعبير عمّا يجول في خاطرهِ لإفراغ شُحنات التوتر التي تجتاح ذاته وبالتالي إظهار انفعالاته النفسية مصوراً للمتلقي ما يمر بهِ .

فهو " غني بالإمكانيات المتنوعة في الأداة والدلالة فمن خلال استخدام الأداة يمكننا التعبير عن بعض المشاعر والتركيز عليها داخل السياق اللغوي العام كما أنّ دلالات

1 - اللغة واللذة الشعرية دراسة تأسيسية في جمالية اللغة الشعرية , عصام شرتح , دار الخليج للصحافة والنشر , ط1 , 2019 : 99.

الأسلوب الندائي يفهمها المتذوق من خلال النصّ الأدبي" [1] وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي لغرض التوجع والاستغاثة والتحسر[2] ؛ لذا أولع الشعراء بهِ فوجدوا ضالّتهم الأولى فكثّفوا حضوره في نصوصهم ليصلوا به إلى جذب ذهن المتلقي ومنهُ تنبيههُ للكشف والبحث في ثنيات النصّ وما يحويه من معانٍ و لإضفاء دلالة الإثراء [3] ,وللنداء وقعٌ خاص في الحِجاج إذ ينبّه المتلقي و يحثّه إلى السماع وجذب الانتباه فيوظّفه الشاعر لتنفيذ فعلٍ إنجازي يتمُّ عن طريق فعل خاص, وهذا الأمر الذي جعله من الأساليب التي تؤثر في بنية الحجاج [4] وقد أبدع الشعراء في توظيفه, لما لهُ من حضور فعّالٍ إذ يضفي على النصّوص الشعرية حيوية مؤديًا وظيفة جمالية تأثرية ذات طاقة حِجاجية مفادها التأثير في الذات فيتضمن دلالات متعددة يقصدها الشاعر ولهُ أثر في الجوانب النفسية إذ اتخــذهُ الشاعر, وسـيلةً إقناعية لما يـــــريد إيصالهُ للمتــلقـــــــي .

ومثال ذلك قول الشاعر (ابن الرومي) واصفًا مراحل العمر متحسّرًا على الشباب :(من الخفيف)

يَا اِبْن عِشْرِينَ لَا تُغَرْنَ بِالدَّهْـــرِ فَقْدُ تَكَسّــرُ اَلْغُصـُونِ اَلرَّطّـــــــــاب

يَا مِنْ اِسْتَكْمَلَ اَلثَّلَاثِينَ مَا أُسْ رَعْ مَا يَســــــــتَرِدُّ مِنــْكَ اَلشّـَبَــاب

---

1 - في علم المعاني ,عبد الفتاح لاشين ، دار الهاني للنشر والتوزيع , مصر ، د.ط 1991: 157.

2 - يُنظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع , أحمد الهاشمي , تدقيق يوسف الصميلي , مكتبة العصرية للنشر والتوزيع بيروت, لبنان د.ط ،1999 : 77 - 78 .

3 - يُنظر : البنية اللغوية في النص الشعري (درس تطبيقي في ضوء علم الأسلوب) ,محمد الدسوقي ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع , ط1 , 2008 :103 – 104 .

4- يُنظر : أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي :15.

يَا أَخَا اَلْأَرْبَعِينَ فَقَدَ نَزَلَ اَلشَّـــيُّ ب وَمَا بَـــعْدَ ذَاكَ إِلَّا اَلـــذَّهَـــاب

يَا اِبْن خَمْسِينَ عَزَّ نَفْسَكَ بِالصَّبّ ر فَـــلَا يَرْجِـعُ اَلشَّبَابُ اَلْخِضَـاب

يَا اِبْن سِتِّينَ قَدْ تـــــوُفِّيـــــتْ عَم رِينْ وَمَـا أَنْ أَقْلَعَـتْ عَمَّا يُعَـاب

يَا اِبْنْ سَبْعِينْ تَوْبَتُكَ اَللَّيَـالِـــيَ أَفَلَا تَبُتّ حِـــينَ فِيـــكَ مَتـــَاب

يَا مِنْ اِسْتَنْفَدَ اَلثَّمَانـــــــِينَ عُمـــــــْر وَمَاتَ اَلْإِخْـوَانَ وَالْأَصْحَـاب [1]

لو تأملنا النصّ السابق لوجدنا أنّ الشاعر يقابل بين مترادفين هما العمر ونتاجه , فقدّم (ابن الرومي) دلالات عميقة تدلُّ على الضعف الذي يصيب الإنسان عندما يتقدّم به العمر ولكنّ " الشاعر لا يذرف الدموع ولا يتوجّع على ما فات من عمره على أنّه فترة زمنية سُلخت منهُ بل يذرف الدموع بغزارة وحرارة على ما انقضى فيه من المتع والملذات وما أعقبه من الذبول والخمول فالشباب عنده دومًا مقترن باللذة والمتعة والشيب دائمًا مؤذن بانتهاء اللذة والمتعة " [2] إذ استعمل الشاعر ألفاظاً مُنسجمة ومتناغمة مع النصّ أولًا ومع حالته النفسية ثانيًا مدعمة بطاقة حِجاجية مؤثرة انفعاليًا بالمتلقي لتدهشه وتجعله في حالة تأملٍ مستمر مع الذات فتكرار النداءات التي تناغمت مع حالة الشاعر كان الغرض منها الحكمة ومحاولًا بها اقناع المتلقي أو حتى اقناع ذاته بوداع الشباب وأيامه ومتعته واستقبال الشيب وثقله ، فجاء النداء بقصدية مفادها التأثير والتنبيه , وقد استطاع الشاعر وفق التشكيل المحكم للنصّ وبندائه لمراحل عمر الانسان أن يُدلي بالحِجج التي من شأنها أن تتمـــــــحور وتتمركز في ذهن المقابل من حيث حُسن توظيفها ليحصل على التفاعل والاستمالة .

ابْن العِشْرِينَ – اَلثَّلَاثِـــــينَ – اَلْأَرْبَعِينَ

الخَمْسِينَ – السِتِّينَ- السبعين– الثمانين

1 - حماسة الظرفاء :2/35 .

2 - مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني , حسين عطوان ، دار الجيل للنشر والتوزيع , بيروت , لبنان ط1 ، 1982 ،153- 154 .

جعل الشاعر لكل ومقدمًا لها حِجج بها تتسم بطاقة فقدمها بفئة حِجاجية واحدة بمعانٍ عدّة مفادها الاقتناع بحُكم الزمن مرحلة عمرية ما يناسبها لابدّ من التأمل والأخذ حِجاجية فوجّه بها المعنى

المراد إيصاله ليستميل ذهن المتلقي ويؤثر به.

ومن النماذج الشعرية الأخرى التي وظّف بها الشاعر أسلوب النداء ما ورد في قول الشاعر (قيس بن الملوح بن مزاحم) مُخاطبًا ومتوسلًا بأهل الحبيبة ومستجيرًا بهم : (من الطويل)

فَيا أَهلَ لَيلى أَكثَرَ اللهُ فيكُمُ مِن أَمثالِها حَتّى تَجودوا بِها لِيا

فَما مَسَّ جَنبي الأَرضَ إِلّا ذَكَرتُها وَإِلّا وَجَدتُ ريحَها في ثِيابِيا[1]

بدأ الشاعر بطرح حِجته مقترنة بالنداء متمثلة بقوله:(فَيا أَهلَ لَيلى) ليقنع المُتلقي ويصل إلى ما يريد و يحدث تغييراً في النفوس والتسليم للأمر, إذ قدّم حِجاجه بطريقة واعية تتجلّى باستحضار صورٍ وألفاظٍ مشحونة بطاقة حِجاجية تُحرّك المشاعر في النفوس وتستميل عقولهم معتمداً على الإيجاز في القول طالبًا الرضى والقبول ليحظى بحبيبته , فالنصّ جاء بصورةٍ أدهشت المتلقي فجعلتهُ في " تفاعل مع المعنى وتأثر بهِ أي أنّها لا تشغل الانتباه بذاتها ألاّ لأنّها تُريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضهُ وتفاجئنا بطريقها في تقديمهِ" [2] , فنلحظ أنّ لغة النصّ جاءت مرفودة بشيء من الانكسار والتذلل بتقديم حجته وبراهينه, وهذا ينمُّ عن قدرة وذكاء الشاعر ليحقّق

1 - الحماسة , أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :2/ 88, ويُنظر: ديوان مجنون ليلى , جمع وتحقيق :عبد الستار فرج, دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة , د.ط , د.ت:305 .

2 - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور ،المركز الثقافي العربي ، ط2 ،1992 :328.

مُبتغاه من بثّه للألفاظ التي تدلّ على الشفقة التي تتضمّن حمولات حِجاجية وإقناعية علّها تؤثر بالمتلقي وبها يكسب ودّهُ وعطفهُ .

وفي نصٍّ آخر للشاعر (محمد بن هشام الخالدي) الذي وجد في ندائه للخليفة (عمرو بن اصطفن) ما يسعفه في إيصال مشاعره وموقفه الذاتي قائلًا :(من المتقارب)

أَيا عَمْرو يا بْنَ العُلى والحَسَب وَمَنْ حَلَّ في المَنْصِبِ المُنْتَخَبْ

بَعَثْتُ إليْكَ أَطَالَ الإلهُ عُمْرَكَ ما طَالَ عمر الحِقَبْ[1]

حقّق النداء (أَيا عَمْرو) انسيابيةً حِجاجية في جلاء المشاعر والافصاح عنها فالشاعر ينادي الخليفة (عَمْرو) مازجًا بين المديح والوصف (يا بْنَ العُلى والحَسَب) (وَمَنْ حَلَّ في المَنْصِبِ المُنْتَخَبْ) ليقدّم صورة جميلة عنه , فالشاعر هُنا وظّف

(يا النداء) مقترنة باسمِ الممدوح مقدّماً حِجته التي اقترنت بغرض المديح ومبيناً له أنّهُ بعث برسالة غلّفها بصفات المديح ليبيّن مكانته وبهذا الأسلوب يصل إلى ما يصبو ويرغب من حيثِ تعبيره عن ثبوت المعنى المراد فأضفى قيمةً جمالية تثير ذهن المُتلقي وتجذب انتباهه فيصبح الكلام أكثر اقناعًا وقبولًا .

أمّا الشاعر (زهير بن أبي سلمى المزني) فقد جعل من النداء مرتكزاً أساسياً للنصّ وظّفه كثيمة مهمة ليعبّر بهِ عن خلجات ذاته فيقول : (من الكامل)

يَا منْ لِأَقْوَام فَجَعَتْ بِهِمْ كَانُوا مُلُوكَ اَلْعَرَبِ وَالْعَجَمِ

اِسْتَأْثَرَ اَلدَّهْرُ اَلْغَدَاةَ بِهِمْ وَالدَّهْرِ يَرْمِينِي وَلَا أَرْمِي

1 - حماسة الخالدين , أبو بكر محمد الخالدي : 26.

يَـا دَهْـرٌ قَـدْ أَكْثَـــــــــرَتْ فَجَـعَتـــنَا بِسْـــــــرَاتْنَا وَوَقَـرَتْ فِـــــــي اَلْعَـــظْمِ

وَسَلَبَتـــــــــنَا مَا لَسْتُ مَعَـــــــقَبَنَا يَا دَهْرُ مَا أَنْصَفَتْ فِي اَلْحُكْمِ[1]

لجأت ذات الشاعر إلى مُناداة الدهر بصورةٍ مُتكررة لتصوير المشاعر ونقلها إلى المتلقي عبر مجموعة من الأحداث المترابطة التي أثّرت بنفسية الشاعر, وذلك لأنّ الدهر من الموضوعات المهمة " الذي لا يعرفون كُنهه ولا يفتنون لطبيعته إنما يحدث بينهم فيصيب من يصيب ويدعوهم للتفكّر والتدبّر في هذا الحدث فكانوا يكررون دائما أنّ الدهر لهم بالمرصاد وأنّه لا يؤمن في صباحه أو مساءه ولهم في عتابه على فجعته بهم بالأهل محاورات كثيرة ... إذ كان لهم ضرب من التفكير في حقائق الحياة كما كانت لهم نظرات ثاقبة مقتبسة من حقائق مجتمعهم ومعاشهم ممّا يدّل على حقيقتهم وتجاربهم الواقعية في الحياة " [2] .

والواضح في هذه الأبيات أنّ الشاعر الحماسي عمد إلى نداء الدهر, للفت انتباه المُتلقي ليجعله على استعداد دائـــم لأيّ نكبة أو شدة غاشية أو عارض قد يتعرّض له فالشاعر ألقى حِجته في استذكار ما حدث للملوك من عرب وعجم وما وقع بهم بالرغم من قوتهم ومكانتها إلّا أنّ الدهر قد تمكّن منهم . إذ اختار الشاعر المحاجِج معاني دقيقة ذا فاعلية مقنعة تتسم بالحِجج المؤثرة لتتوسّد وترسخ في ذهن المتلقين .

فالمتكلم " ليس مجرد مرسل لأدوات النداء وإنما هي تعبير مثير عن مشاعره وأفكاره مرتبطة في الوقت نفسه بالمخاطب قربًا أو بعدًا في المكان أو المنزلة الذاتية والاجتماعية بمعنى آخر أنّ المتكلم يدخل في إطار البنية التركيبية باستعمال هذه

---

1 - الحماسة , أبو عبادة الوليد بن البحتري : 222 , ويُنظر : ديوان زهير بن أبي سلمى شرحه وقدّمه : على حسين فاعور , دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ,بيروت - لبنان , ط1 1988 : 123.

2 - الشعراء الحُنفاء , أحمد جمال العمري الأستاذ المساعد في كلية الآداب , جامعة الزقازيق , دار المعارف للنشر والتوزيع - الامارات د. ط , 2014: 173 .

الأدوات وكذلك المخاطب في مقامه... وبذلك يصبح أسلوب النداء ذا جمالية إشارية في تعانقه مع اللغة والمتكلم والمخاطب " [1] .

وبعد فإنّ أسلوب النداء في كتب الحماسة كان ذا أهمية كبيرة في إحياء النصّ الشعري فأراد الشاعر التعبير عن مقاصده المختلفة ومواقفه الشعورية , ولفت وشد انتباه المتلقي , لغرض تهيئته لما يريد أن يطرح ويلقي بلغة منسجمة متآلفة مع النصّ مكوناً قيمة جمالية لها القدرة على الاقناع والتأثير والإثـــــارة ولابدّ من الاشارة إلى أنّ أكثر الأدوات تكرارًا في كتب الحماسة هي (يا) .

❖ التكرار:

التكرار ظاهرة من ظواهر أساليب الأداء اللغوي يتمحور داخل النصّ حيث له أثر مائز في ترابطه وانسجامه مع النصّ فهو " يخدم وظيفة مهمة في السياق الشعري وهي جذب انتباه القارئ إلى كلمة أو لفظة يود الشاعر أن يؤكد عليها أو ينتبه القارئ إليها " [2] ، فهو عنصر من عناصر الحِجاج المُهمة وذلك لتقريب الأمر المراد الحصول عليه إلى ذهن المُتلقي من الترديد حيث يُسهم في تأويل وتأكيد المعنى الذي يؤدي إلى الإقناع ويأتي لغاية حِجاجية مفادها القبـــول والتسليم بالأمـــــر المقدم إلى المتلقي [3] والغرض الأساس من التكرار هو تغيير في سلوك المتلقي إذ يرى ابن الأثير أنّهُ " إذا صدر الأمر على المأمور بلفظ التكرار مجردًا من قرينة تخرجه عن وضعه ولم يكن موقتًا بوقت معين كان ذلك حثًّا له على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفور فإنّك إن قلت لمن تأمره بالقيام(قم قم قم) فإنّك تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام في تلك الحال الحاضرة " [4] .

---

1 - جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية نقدية جمالية , حسين جمعة, دار رسلان للنشر والتوزيع , د.ط, 2013 : 177- 178 .

2 - النقد التطبيقي التحليلي , د. عدنان خالد عبد الله , دار الشؤون الثقافية, بغداد , ط1 1986 : 24 .

3 - يُنظر: المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر , ابن الاثير ضياء الدين , تح: أحمد الحوثي بدوي طبانة, دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع , مصر, د.ط , د.ت:8/3 .

4 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 3 .

والتكرارُ قـــادرٌ" على الاضطلاع بدورٍ حِجاجي مهم متى اعتمد في سياقات محددة وتوفرت فيه شروط معينة فيه فتكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعدّ من أفانين القول الرافد للحجاج المدعمة للطاقة الحِجاجية في الدليل أو البرهان وما له من وقع في القلوب لاسيما في سياقات خاصّة كالمدح والرثاء " [1].

وهذا ما يجعل للتكرار دوراً هامًّا وآلية من آليات الحجاج لكنّه لا يدرس ضمن الأدلة و البراهين بل القصد منهُ التأكيد او النفي للـــفت انتـباه المتلقي إلى أمر ما [2]

فيرفد الحِجج التي تقدّم للمتلقي لفائدة اطروحة ما؛ لأنّه يساعد على التبليغ والإفهام فهو يضفي قوةً حِجاجية تكمن في التكرار لمعنى ولفظ معين بغية لفت انتباه المتلقي , ذلك أنّ الشاعر من التكرار يصل إلى الجانب الشعوري له فيستشعـر حالته النفسية التي هو عليها أولاً, ومن ثمّ يجنح لـــلتغلغل في أغـــوار النصّ ثانـيًا ليحقّق مقبولية ذات وظيفة تفاعلية ، وهذا ما يجعل منه أسلوبًا فنيًا له وظائف عدة منها الموسيقية والتوكيدية ، وما يهمنا وظيفته الإقناعية وهذه كلها تنسجم و تتضافر لتكوّن نصًا شعريًا منسجمًا جميلاً يقتحم به عالم المتلقي من أجل السيطرة على ذهـــنه وطرح رؤاه وما يُـريد تحـقيـــــقه .

وفي النصّ الآتي تتجسد الانفعالية اللغوية التي حملت بين طياتها أسلوب التكرار الذي التجأ إليه الشاعر ليبث ويثبت مدى حبّه مؤكداً ذلك قول الشاعر (عبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود) :(من الوافر)

شَقَقْتِ اَلْقَلْبَ ثُمَّ ذَرْرَتِ فِيـــــــهِ هَوَاكَ فَلِيَم فَالْتَأَمَ اَلْفُـــــطُورُ

تَغَلْغلَ حُبُّ عِثْمَةْ فِي فُـــــؤَادِي فَبَادِيَةِ مَعَ اَلْخَافِي يَســـــيرُ

تَغَلْغلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شـــــــرَابٌ وَلَا حُزْن وَلَمْ يَبْـلُغْ سُرُورُ[3]

---

1 - الحِجاج في الشعر العربي القديم :168 .

2 - يُنظر استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية , أنور الجمعاوي ,المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية , د.ط ,2013 : 38 .

3 - الحماسة ,أبو تمام حبيب بن اوس الطائي : 150 , ويُنظر :آمالي المرتضى وغرر الفوائد ودرر القلائد , الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي , تح :محمد أبو الفضل دار إحياء الكتب للنشر والتوزيع ,القسم الأول , د. ط , 1373 : 400.

حملَ لنا النصّ صوراً جميلة جُسدت فيها كُلّ معاني الحبّ والشوق, فالشاعر انتخب ألفاظاً تدلُّ على العشقِ والوجدِ والهيام فجُملة (شَقَقْت اَلْقَلْب ثُمَّ ذَرْرَت فِيـــــــــــهِ) لم يأتِ بها اعتباطاً وإنما جيءَ بها عن مقصدية لتدلُّ على مدى تمكّن حبّها من قلبه واختلاطه بكريات دمه, إذ يقول:(شققت قلبي و ذررت فيه) أي نثرتِ هواكِ بهِ والتأمتِ تشققاتهِ من شدة الحب ومن الحِجج التي ألقى بها تكراره للفعل (تغلغل) في النصّ مرتين ؛ وذلك لأنّ " تكرار الفعل لهُ حضور فاعل عِند الشاعر لتزاحم الأحداث والفعل أكثر قدرة على التعبير عن التحولات الزمنية بأشكالها المختلفة لنقل تجربته الشعورية بطريقة مثيرة تهيئ لها مكانة في نفوس غيره" [1] فجيء بالفعل المكرّر مقترن بـــ (عثمة) وهو اسم مَن يهواهـــا , وهذا التكرار أدى إلى تكثيف المعنى وازدياد وقعه في النفس وتعميق الطلب ليظهر للمحب حالته النفسية ,فالنسق التكراري للفعل المضارع جاء بمقصدية أراد به الشاعر أن يستعطف قلب المحبوبة و يلقي إليها الحجج بألفاظ ذات معانٍ رقيقة تلامس شِغاف القلب ؛لإحداث التفاعل والتواصل الحِجاجي بين محبوبته وكلماته للتـــأثـــير بـــــها .

ومن أساليب التأثير بالمتلقي بتوظيف أسلوب التكرار قول الشاعر:(أبن الدُمينة) (من الطويل)

وَأَنـــتِ الَّتـــي كَلَّفتِنـــي دَلَـــجَ الســـــرُى وَجـــونُ القَطـــا بِالجِلهَتَينِ جُـــثـــــومُ

وَأَنـتِ الَّتـي قَطَّـعتِ قَلبـي حـــــزازَةً وَرَقرَقـتِ دَمـعَ العَـينِ فَهـيَ سَجُـــــومُ

وَأَنتِ الَّتي أَغضَبتِ قَومي فَكُلُّهُم بعيدُ الرِضى داني الصُدودِ كَظوم[2]

تكشف دلالة النصّ عن الحِجج التي يقدّمها الشاعر ليثبت مدى حبّه وصدق عاطفته للمحبوبة واظهار الحرقة والشوق والاكتواء واللوعة , وما هذه إلّا رافدًا من

1 - النسق الشعري و بنياته منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي , د . طارق ثابت مركز الكتاب الاكاديمي للطباعة والنشر والتوزيع , د.ط , د.ت : 148 .

2 - الحماسة ,أبو تمام حبيب بن اوس الطائي :2/ 125 , ويُنظر : ديوان ابن الدمينة : 42.

روافد الإقناع والاستمالة فلجأ إلى توظيف الطبيعة و مخاطرها, بذكره للأماكن المقفرة فيقول لها إنني لا أتكلف السفر الطويل في ظُلمة الليل وفي أماكن لا يوجد فيها أحد غير القطا إلا لأجلك , وما يقطّع قلبي غير شوقي اليك وما قشّر قرح القلب وهو جريح سواك , وهذه جميعًا إمعانًا منه لتقوية حِجته فهو يرسم صورة مُحكمة التراكيب متنوعة الحِجج مدعمة بطاقة حِجاجية متأتية من تكرار الضمير (أنتِ) جاعلاً من هذا التكرار ذي فاعلية في نفس المتلقي من جهة, ومن جهة أُخرى للإفصاح والإبانة عن قرب ومكانة هذا المتلقي من قلبه ومع هذا التكثيف الشديد للضمير (انتِ) مسبوقًا بحرف الواو يرمي الشاعر إلى تحقيق غاية وتغيير سلوك وتحريك مشاعر ولإقناع المحبوبة بصدق حبّه لها .

وقال ابراهيم بن العباس موظفاً التكرار إيذانًا منه على عتاب أخٍ لهُ قائلًا : (من المتقارب)

وَكُنتَ أَخي بِإخاء الزَّمانِ فَلَمّا نَبا صِرتَ حرباً عَوانا

وَكُنتُ أَذُمّ إِلَيكَ الزَّمـــان فَقَد صِرتُ فيك أَذُمّ الزَّمانـا

وَكُنتُ أُعـدّك لِلنائِـــبات فَها أَنا أَطلُب مِنـكَ الأَمانـا[1]

لقد استعمل التكرار للفت انتباه المتلقي حيث عبّر الشاعر عمّا يجول في ذاته من طريق توظيفه للفعل الماضي الناقص مكررًا له في بداية الأشطر الشعرية وهذا قد منح النصّ بعدًا نفسيًا متجليًا بأسلوب المقارنة من حيث توظيفه للجمل الآتية:

كُنتَ أَخي(صرت) حرباً عَوانا

فيك أَذُمّ الزَّمانـا

1 - الحماسة الشجرية , ابن الشجري هبة الله بن علي بن حمزه العلوي الحسني , تح:عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي , منشورات دمشق , القسم الأول, د.ط , 1970: 286 ويُنظر الأغاني , أبو فرج الأصفهاني , تح: محمد افندي المغربي , تصحيح :الأستاذ الشيخ احمد الشنقيطي , مطبعة التقدم للنشر والتوزيع , د.ط , 1905: 27 .

أَطلُب مِنكَ الأَمانـــــا

فالشاعر أكّد على زمن انتهاء الأخوة وموثقًا ذلك بطرحه للحِجج أعلاه مسبوقة بزمن مضى فنسيج النصّ تأسس " على صراع بين أزمنة وأحداث وبالتالي يظل العمل الفني قلقا نتيجة هذا الانتقال المحسوب بين الأزمنة فالزمن في بنية النصّ ليس زمن صيغة فقط بل يتحول كثيراً إلى دلالات يفرزها السياق وهذا ما سعى الشاعر إليه"[1] فالشاعر بوساطة التكرار أراد أن يشحن طاقة النصّ ويكسبها بعدًا حجاجيًا ليولّد رؤية جمالية ويحقق دلالات عدّة اهمّها تفاعل المتلقي مع النصّ والتأثير بـــــه .

ويقول شاعر آخر وهو يصوّر موقفه من الحرب فنجده حشّد كُلّ طاقاته الحِجاجية ليقدّم صورةً توضّح موقفه المتأجج من هذه الحرب مدعمة بدلالات عميقة تؤثر بالمتلقي وتثير مشاعره فيقول:(من الطويل)

وَلـيسَ أَخـو الحَـــــربِ الشـَديدَةِ بِالَّـذي إذا زَبَنَتـهُ جـــــــــاءَ لِلسِّـلمِ أَخـــضَعا

وَلَكِـن أَخـو الـــــحَربِ الحَديـدُ سِلاحُـــهُ إذا حَمَلَتـهُ فـــــــوقَ حـــالٍ تَشجَّـــــعا

أَخو الحَربِ لا يَنآدُ لِلـــــــــحَربِ مَتنُهُ وَلا يُظهِرُ الشَكوى إذا كانَ موجـــَعا

رَكـوبٌ عَلـى أَثبـــــــاجِهـــا مُتَخَـــوِّفٌ لِعوراتِهـا يُنـــــمي إذا الثِقـلُ أَضلَـــعَا[2]

جنح الشاعر إلى تكرار كلمة (الحرب) ووسّع دلالتها داخل السياق جاعلًا منها المرتكز الأساسي للنصّ؛ ليؤكّد بذلك على فكرة معينة تكمن في ذاته, مُسلطًا الضوء عليها ليكتشف ما يريد ايصاله فيشد انتباه المتلقي ويستميله بطرح الحِجج التي رصفها وهنا أدى التكرار وظيفةً حِجاجية مـــــهمتها التأكيد والإلحاح لإيصال فكرة

1 - جماليات التلقي وإعادة إنتاج الدلالة دراسة في لسانيات النص الأدبي , د.محمد السيد احمد الدسوقي ، أستاذ النقد والبلاغة كلية الآداب جامعة طنطا ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ط1 , 2007:70 .

2 - الحماسة ,أبو عبادة الوليد بن البحتري : 98 .

مفادها الحثُّ على الحرب وعدم التخاذل , إذ ابتدأ نصّهُ بنفي صفة الخضوع للذلّ والاستسلام لأخي الحرب جاعلًا منه عضيدًا وملازمًا لها .

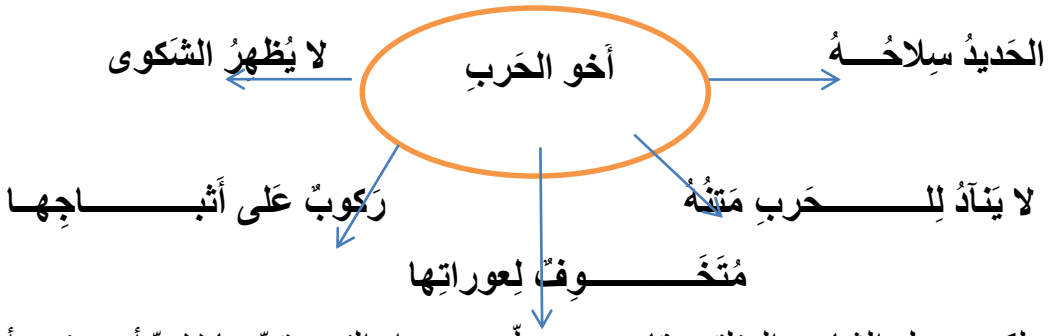

ولكي يجعل الشاعر المتلقين قانعين ومسلّمين برؤاه التي يقدّمها لابدّ أن يعتمد أموراً معينة , كالتركيز على بعض العناصر الحاضرة في أذهان سامعيه فيجعلها أكثر حضورًا " وأنّ أهم وسيلة تعتمد في تقديم واستحضار العنصر المنتقى للمحاجِج أن يجعله ماثلاً بين أعين المخاطبين وفي أذهانهم وهذه الوسيلة أي وسيلة الاحضار عامل جوهري في الحجاج "[1] وهذا ما عمد إليه الشاعر في نصّه , فهو على علمٍ ودراية بأنّ المتلقين مسلّمون سلفًا بفكرته فمهمة الشاعر تكمن بتوظيف عنصر يدعم تحقيق ما يرمي إليه فعليه إبراز هذا العنصر وجعله حاضرًا في المقدمة ويزيد من أهميته وتسليط الضوء عليه من أجل التأثير والاستمالة .

ونجد توظيف التكرار أيضاً في قول الشاعر (أزهر بن هلال التميمي) : (من الطويل)

أَعَاتِـكَ مَا وَلَيْـــــتُ حَتَّى تَبَدَّدَتْ رِجَـــالِي وَحَتَّى لَم أَجِد مُتَـــــقَدِّمَا
وَحَتَّى رَأَيْتُ اَلْوَرْدَ يَدْمَى لُبَـانُـــــهُ وَقَدْ هَزَّهُ اَلْأَبْطَالُ وَانْتَـــــقَلَ اَلدِّمَـاء
أَعَاتَكَ أَنِّي لَمُّ أَلَـــم فِي قِتَـــالِـــهِمْ وَقَدْ عَضّ سَيَفِي كَبْشهُمْ ثُمَّ صَمما

1 - في نظرية الحِجاج دراسات وتطبيقات , د. عبد الله صولة , الشركة التونسية للنشر والتوزيع , ط1 , 2011 : 31.

اَعَاتَكَ اَفْنَانِي اَلسِّلَاحُ وَمِنْ يُطِـــل مُقَـــــارَعَةَ اَلْأَبْـــــطَالِ يَرْجِع مُـكَلّـما[1]

كفاءة الشاعر واضحة في النصّ و تتجلّى بتوظّيفه لأسلوب التكرار فقدم تسويغاً وحجج وأدلة لخوفه وهربه من أرضِ المعركة , فنلاحظ أنّ الشاعر عمد إلى تكرار اسم محبوبته ليستعطف قربها وودها وجذب عطفها محاولًا إقناعها ولفت انتباهها إلى ما يطرحه من حجج فتتفاعل مع الحالة النفسية مثيرة انفعال الطرف الثاني لإيجاد عذر لنفسه, وقبول لغيره ولعل دقة ومهارة الشاعر تكمن على حمل المتلقي على الاقناع وتكوين سبب يستميله ويقنعه ويوجهه نحو جهته كما فعل شاعرنا بمحبوبته (عاتك) .

ومن هذا النهج قول (حاتم بن عبدالله الطائي) : (من الطويل)

وَإِنّـــي لَأَقـــري الضَـــيفَ قَبـــلَ سُـــــؤالِهِ وَأَطعَـــنُ قُـــدماً وَالأَســـــنَّةُ تَـــــــرعُفُ

وَإِنّـــي لَأَخـــزى أَن تُـــرى بِـــيَ بِـطنَـــــــةٌ وَجـــاراتُ بَيتي طاوِيـــــاتٌ وَنُحَّـــفُ

وَإِنّي لَأُغشي أَبعَدَ الحَيِ جَفنَـــتي اذا زعزع الأَطنابَ نَكباءُ حَرجَـــــفُ

وَإِنّـيَ أَرمـي بِالعَـــداوَةِ أَهلَـــــــــهـا وَإِنّـيَ بِالأَعـــــــــداءِ لا أَتَـنَـــــكَّـــفُ

وَإِنّي لَأُعطي سائِلي وَلَرُبَّـــــــما أُكَلَّفُ ما لا يستطاع فَأَكـــــــلَفُ[2]

---

1 - الحماسة :أبو عبادة الوليد البحتري : 112, ويُنظر : التذكرة الحمدونية , محمد بن الحسن بن حمدون , تح: إحسان عباس وبكر عباس , دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت لبنان, د.ط , 1996: 2/448 .

2 - الحماسة الشجرية : 1/ 52-53 , ويُنظر: ديوان حاتم طي , مؤسسه هنداوي للنشر والتوزيع , د.ط , 2022 :17.

بنى الشاعر صورة شعرية أساسها الفخر بالذات , فهو يسعى إلى استثارة العواطف والتأثير بها , وهذه من أُسس الحِجاج المهمة فذكاء الشاعر وقدرته على تقديم سياق حجاجي ناجح يتأتى من توظيفه لمجموعة من الأساليب التي تُساهم في جذب انتباه المُتلقي ومنها اعتماده لأسلوب التكرار .

فمن المعلوم أنّ المتلقي في النظرية الحِجاجية هو من أهم الأطراف وقد أُطلق عليه أرسطو اسم (الباتوس) , وما هو إلّا الغاية التي يسعى الشاعر إليها وكُلّ المقومات لا تكتسب الأهمية إلاّ عندما تحقّق الصدى المناسب بالمتلقي وبالتالي كسبه واستمالته [1] , فتكرار لفظة(إنّي) مجاورة لصفة نسبها الشاعر لنفسه تأكيداً منهُ على الكشف عن صفاته والتفاخر والتعالي بذاته فالأفعال المتجلية بالنصّ قدّمها كحجج وبراهين ليضمن بها المقبولية (اقري - اخزي –اغشى- أرمي- اعطي) تدلُّ على سياق أسلوبي اقناعي فشكّلت بعدًا حجاجيًا ذا حمولات دلالية رسمها بصورة جميلة من شأنها التأثير بالمُقابل .

نلمس ممّا سبق أنّ أسلوب **التكرار** لهُ وظيفة تعبيرية ايحائية تؤدي إلى اثراء المعنى , وتعميق الدلالة فهو لا يأتي اعتباطًا وإنمّا لهُ ارتباط مباشرٌ بالحالة النفسية للشاعر التي يشاركه المتلقي فيها وهو طريقة من طرائق الإقناع والتأثير وتأكيد المعنى, ومن هذه الأهمية وظّف شعراء الحماسة أسلوب التكرار لما له من أثر جوهري فعّال في النصّ الشعري مُحقّقًا بذلك طاقة حِجاجية من شأنها إحداث تغيير في سلوكِ المتلقي وجعله يتقبّل النتائج الحِجاجية بكُلِ حيثياتها .

1- يُنظر : مدخل الى الحجاج: 29 .

الفصـــل الثـانـي

مُتضمنات القول في كتب الحماسة

مدخل تنظيري:

مُتضمنات القول من المفاهيم الإجرائية لقوانين الخطاب التي لابدّ من وجودها لإتمام ونجاح العملية التواصلية بين الأطراف المتحاورة ، إذ شغلت حيزاً كبيرًا في الدرس التداولي , ففي كثير من الأحيان يلجأ المتكلّم إلى تضمين خطابه بجملٍ وعبارات يسودها بعض من الغموض , وهذا يقوده إلى عدم التصريح بما يريد أن

يقول بصورة مباشرة , فالقول قد لا يظهر بشكل صريح لسبب معين ، ولكن يمكن الاستدلال عليه بمجموعة من المفاهيم التي تتجلّى في قوانين الخطاب .

والتضمين لغةً يدلُّ على ضمّن الشيء بمعنى تضمّنهُ ومنه قولهم مضمون الكتاب كذا وكذا فهمت ما تضمّنه كتابك أي ما اشتمل عليه وكان في ضمّنه [1] .

كذلك تدلّ على احتواء كلمة لكلمة أخرى , بمعنى احتواء شيء إلى شيء آخر, وفي ضوء هذا المعنى، يقال ما تضمّنته كُلّ من الأرض والقبر والرحم ، أي ما حوته ظاهرًا و باطنًا [2] ، ومن أجل توضيح مصطلح متضمنات القول في البحث الأدبي لابدّ من الإدلاء بما جاء به منظّروا القول ، فهي مفهوم إجرائي تداول يتعلّق برصد مجموعة من الظواهر تتجلّى بجوانب ضمنية وخفية تحكمها ظروف الخِطاب مثل سياق الحال وغيره [3] ، وإنّ " الوصول إلى إدراك طبيعة متضمنات القول لم يتم دون معرفة قوانين الخطاب بمعنى آخر أنّ فهم الجانب الضمني والخفي من الكلام يستلزم مِنّا أن نكون على معرفة ضمنية بالقواعد التي من شأنها أن ينتظم بها الكلام وأنّ الكلام لا يعني دائما التصريح بل يعني أحياناً حمل الشخص الذي وجه إليه على التفكير في شيء غير مصرح به وهو كلام متضمن في القول الصريح " [4] .

---

[1] - يُنظر: لسان العرب : مادة ضمّن .

2 - يُنظر : العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، مادة ضمّن ، دار ومكتبة الهلال للنشر والتوزيع ، د.ط د. ت :7/ 51 .

3 - يُنظر : التداولية عند العلماء العرب, د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 2005 : 30 .

4 - تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية , عمر بالخير، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة الجديدة ، ط2 ، 2013 :59 .

وقد يلجأ المتكلّم إلى استعمال متضمنات القول؛ خِشية خرق بعض العادات الكلامية أو خدش مشاعر المتلقي, أو أن يكون التلميح أبلغ من التصريح في الوصول إلى الفكرة المراد طرحها [1] , فالخِطاب الحِجاجي كما يرى(ديكرو)" ترسله ذات متكلّمة هي المسؤولة عنهُ وهو يميّز في هذا المقام بين المتكلّم والمتلفظ على اعتبار إنّ هذا الأخير هو الذي يعبّر باسم المُتكلّم عن الآراء والمواقف المطروحة في الخطاب الحجاجي" [2] . وقد يسعى المُتكلّم في توظيفه لمتضمنات القول إلى ادّعاء شيء ما وإذا قوبل بالردع أو النفي تخفّى وراء تصريحه مع نفيه لما اعتقدهُ المخاطب ويرى (ديكرو) أنّ اللجوء إلى هذا الاستعمال في الخطاب لا تتحكم فيه الإرادة دائمًا وهذا ما يفسّر أحيانًا حالات سوء التفاهم بين المتخاطبين إلا أنّ المخاطب في أحيان كثيرة قد يخطئ في إدراكه لنية المتكلّم في تصريحه بشيء أو استفهامه عنه مع العلم أنّ المتكلّم لا يقصد تماما ما تصوره المخاطب ويشير أيضًا إلى أنّ بعض المتكلمين يجبرون على استعمال بعض الحيل ليؤثروا في مخاطبيهم "[3] .

ونجد أيضاً متضمنات القول تكمن أهميتها " في كيفية توصل المخاطب إلى ما يتضمنه القول وتحصيل الفائدة منه والوقوف على ما قد يحتويه من معانٍ مختلفة لا تظهر إلا عبر السياق الوارد فيه وقد يكون مخالف تمامًا للمعنى الحرفي له " [4] .

---

1 - يُنظر : المصدر السابق :60 .

2 - الحِجاج في البلاغة المعاصرة , بحث في بلاغة النقد المعاصر : محمد سالم محمد الامين الطلبة دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 1 ، 2008 : 194.

1 - تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية : 60-61 .

4 - الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي ، الدراية مجلة علمية محكمة تصدرها كلية الدراسات الاسلامية ، د. منى فهمي محمد غيطاس , كليه الدراسات الإسلامية والعربية بنات - القاهرة ، العدد الخامس عشر، 2015 : 163 .

فالحِجة هي " عنصر دلالي متضمن في القول يقدمه المتكلّم على أنّه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر والذي يصيّرها حِجة أو يمنحها طبيعتها الحِجاجية في هذا السياق فما يمكن أن يكون في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر وقد تتحقّق الحِجة على شكل لفظٍ أو قول أو خطاب برمته " [1] فالحِجاج متضمن في " البنى اللفظية فهو يوجّه بطريقة أو أخرى أنماط الاستعمال وأساليبه وهذا ما يطلق عليه ديكرو الحجاج داخل اللغة " [2] .

فيتضمن القول قوةً حِجاجية من المكونات اللغوية المتجلّية به والتي من شأنها تحقيق طاقة حجاجية لا تنفك عن ثنائية الإقناع والتأثير بالمتلقي فالقول إذاً لا يمكن أن يأتي بصورة مباشرة دائمًا لوجود معوقات معينة وهذا يجعل المتلقي في عملية تفكير مستمرة ؛ ليستدرك المضمر منهو يعمل على استظهار واستجلاء حيثيات المعنى الضمني المتخفّي في الظاهر الصريح بمتضمن القول ؛ لذلك كان لابد من الانطلاق من مفاهيم ومعطيات معرفية ، لمعرفة قوانين الخطاب وللكشف عن الجوانب الضمنية والخفية لتتحقق عملية الفهم التي من شأنها أن ينتظم الكلام
بها.

بعد استعراضنا لماهية متضمنات القول إذ بيّنا علاقتها بالحِجاج من معطياتها اللغوية المتجلّية بالنص الشعري، فكانت هذه المادّة (مُتضمنات القول) في هذا الفصل مُوزّعة على مبحثين المبحث الأول الافتراض المسبق والمبحث الثاني القول المضمر .

[1] - اللغة والحِجاج : أبو بكر العزاوي :127 .

[2] - الحِجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر: 193 .

المـــبحث الأول

الافتــراض المُسبق

توطئة:

الافتراض المُسبق من العناصر التداولية المهمة والأساسية في إتمام وإنجاح العمليــة التواصــلية بــين أطــراف العمليــة الحِجاجيــة إذ يــرى الفيلســوف الألمــاني (غوتلوب فريجه) أنّ " كلّ تواصل لساني ينطلق من معطيات و افتراضات سابقة معترف بها ومتفق عليها بين المخاطب والمستمع وتشكل هذه الافتراضات المُسبق ة

خلفيه تواصلية ضرورية لتحقيق عملية التواصل" [1] ، فهو من الأسس المهمة في النظرية التداولية و أنّ " هذا المظهر له طبيعة لسانية في إثناء التواصل ويمثّل مجموعة من المعطيات والافتراضات التي تشكّل خلفيات مشتركه في قول أو أقوال طرفي الخطاب فهو العنصر الدلالي الخاص بهذا القول ويظهر في نشاط تواصلي من العلامات اللغوية التي يتضمنّها ذلك القول, مثال ذلك الخطاب الآتي :(افتح الباب) في هذا الخِطاب يفترض مُسبق اً أن يكون الباب مغلقاً أصلاً وتلفظّ المُرسل بهذا الأمر يستدعي من المرسل إليه كفاءة وقدرة على الاستنباط والاستنتاج لما كان عليه قبل الخطاب " [2] . فالمتكلّم يوجّه حديثهُ إلى السامع على أساس ما يفترض أنه معلوم وبرأيه أنّ المخاطب قادرٌ على الاستنتاج , فالدلالات الافتراضية مرتبطة بالتنسيق الكلامي والسياق الاستعمالي الذي يتطلب من المحلل التداولي إرادة ووعيًا وانتباهًا [3] ، ففي" كُلّ تواصل لساني ينطلق الشركاء من مُعطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية والتي تكون ضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل ، فمن هذا المنطلق يبرز أثر الخلفية المعرفية التي ينبغي توافرها لدى مستخدمي اللغة " [4] اذاً هي " الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في العملية التواصلية وهي محتواه من ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة " [5] ويرى (ديكرو) أنّ الافتراض المُسبق هو إحدى الوسائل التي تقدّمها اللغة من أجل الاستجابة للحاجة المستترة التي يشعر بها

---

1 - التداولية عند العلماء العرب: 30 .

2 - يُنظر: الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع : د. حمدي منصور جودي، مركز الكتاب الاكاديمي للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2018: 107 .

نقلاً عن .o.dusrot dire et - Hermann paris- 1980:81

3 - يُنظر: السيميائيات التداولية من البنية إلى السياق , أحمد يوسف ، جامعة وهران , الجزائر د.ط ، 2004: 49.

4- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب دومينيك مونقانو , تر: محمد يحيا تن ، منشورات الاختلاف للطباعة الجزائر ، ط5 ، 2005 :45

5 - الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي , د. ناديه رمضان النجار ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع , الإسكندرية , ط1 ،2013 : 192 .

المتحدثون في عدد كبير من المواقف , وهو وسيلة للقول أو عدمه بمعنى أن المتكلّم لا يصرح بها ولكنها تأخذ منحى مهمًا للتبليغ [1] , فالمتكلّم يأخذ بعين الاعتبار أنّ المتلقي يمتلك خلفيةً معرفيةً فعندما يوجّه إليه الكلام تتشكّل لديه معرفة بما يريد أن يُلقى إليه فهذه الافتراضات لا يمكن الاستغناء عنها , وهذا ما أدلى به (ديكرو) إذ يقول إنّ الافتراض المُسبق " جزء لا يتجزأ من معنى الجملة إذ لا أحد يمكن أن يتكلّم دون أن يكون بكلامه افتراضاً إلى درجة أنّ الافتراض يشكل الفعل الاساسي في الكلام"[2] ويُشكّل الافتراض المُسبق أيضاً " فعلًا كلاميًا خاصًا فهو فعل مثل الاثبات الاستفهام والأمر؛ لأنّها تقوم بتعديل العلاقات بين الذوات المتخاطبة فيخلق الإلزامات ويؤسس الحقوق والواجبات ويعين الأدوار فتكمن خصوصية الافتراض في الطريقة التي يفرض بها على المخاطب إطاراً لاستمرار الخطاب فيجبره على الفعل وكأن محتوى الافتراض حقيقة مؤكدة و لا يمكن من إذ المبدأ أن يؤدي إلا على مستوى المثبت و ليس على مستوى المفترض " [3] .

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ (جورج يول) ميّز بين أنواع مختلفة من الافتراض المُسبق منها:

1-الافتراض المُسبق الوجودي : مثل الأفعال الدالة على التملّك , وقد يكون في أي عبارة اسمية .

2- **الافتراض المُسبق الواقعي:** الذي يكون فيه استنتاجات حقيقية من التركيب فيعامل المعلومة على أنّها حقيقة .

3- **الافتراض المُسبق المعجمي:** وفيها يُفسّر استعمال صيغة بمعناها المؤقت ,أي أنّ معنى آخر غير مؤكد قد تمّ فهمه وكما ذكرت أنّ شخصا تمكّن من إنجاز شيءٍ ما

---

1 - يُنظر : الخطاب القصص القرآني دراسة اسلوبية تداولية قصة يوسف عليه السلام نموذجا نور الدين خيار ، مذكرة معدة لنيل درجة الماجستير، جامعة ، مولودي معمري - الجزائر 2012 : 284 .

2 - الافتراض المسبق في الدرس التداولي أنماطه وتطبيقاته : هشام صويلح , مجلة المقال جامعة باجي مختار ، الجزائر ع/6 - فبراير ، 2018 :141.

3 - مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب : حفناوي رشيد بعلي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2013 : 62

فهذا يعني أنه نجح وإذا ذكرت أنّ شخصاً لم يتمكن من إنجاز شيءٍ فهذا يعني أنّهُ أخفق وفي كِلتا الحالتين يكون هُناك افتراض مُسبق بأنّ هذا الشخص حاول واجتهد .

4- **الافتراض المُسبق البنيوي :** وفي هذا النوع تحلّل جملاً عرفياً وبانتظام وقد تمثّل هذه الافتراضات المُسبقة على البنيوية طريقة بارعة في جعل المعلومة التي يعتقدها المتكلّم هي نفسها التي يتوجب على المستمع تصديقها، ففي قولنا: متى سافر زيد ؟ دلالة على سفره فالاستفسار يقود المستمع إلى افتراض مفاده إنّ المعلومة صحيحة .

5- وثمة نوعٌ آخر يطلق عليه **الافتراض المُسبق غير الواقعي** وهو الذي يفترض عدم صحته كأن تقول: تخيلت إنّي زرت الفضاء- لم تزرها - ولو إنك صديقي ساعدتني= لست صديقي وهذا النوع من البناء غير الواقعي [1] .

أخيراً يمكننا أن نخلص إلى أنّ الافتراض المُسبق ذو أهمية كبيرة وله أثر أساسي في النظرية الحِجاجية من حيث الحمولات الدلالية المتجلية في أسلوب الباث فتكون ذا طاقة حجاجية من شأنها تحقيق التواصل والتبليغ بين الباث والمتلقي والعمل على تأكيد الفكرة التي يُدلي بها الباث وبالآتي يتحقّق شرطا الإقناع والتأثير وعلى هذا تكون مهمة المتلقي في الوصول إلى تفسيرات هي موجودة مُسبق اً ومألوفة في ممارساته السابقة وهذه تقودنا إلى معرفة الهدف الذي يروم المتكلّم التركيز عليه وذلك لتتحقق عملية التواصل بين المتخاطبين .

وبعد إحصاء وجرد المادة وجدت أنّ أكثر الافتراضات تواجداً في النصوص الشعرية في كتب الحماسة هو (الافتراض المُسبق الواقعي و غير الواقعي) ؛ وذلك لأنَّ أغلب النصوص أمّا تكون من تجارب واقعية صريحة, أو يمزجها الشاعر

1 - يُنظر: التداولية , جورج يول ، تر: قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، ط 1، 2010: 53 - 54 ويُنظر : رؤى تداولية في الصرف العربي = = سيف الدين طه الفقراء ، جامعة مؤتة كلية، الآداب قسم اللغة العربية وآدابها اليازوري للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط ، 2010: 33-34 .

بعنصر الخيال أوقد يتخللها عنصر المفاجأة ، أمّا في ما يخص الأنواع الأخرى فقد وجدت ملامح فقيرة تتسم بها النصوص الحماسية ولم أجد ما يسعفني لأجعل منها مرتكزاً للتحليل الحِجاجي وهذا ما تطرقنا إليه في مبحثنا .

وفي الصدد نفسه قول الشاعر(كعب بن زهير المزني) :(من البسيط)

وَما تدوم على الْعَهْدِ الَّذِي عهدتْ إلاَّ كَمَا تمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُــوبٍ لَهَا مَـــــثَلاً وَمَا مَوَاعِيـدُهَا إلاَّ الْأَبَـاطِـــيلُ[1]

القارئ لهذه الأبيات يجد أنَّ الشاعر وظّف شخصية (عرقوب) الذي كان يَعِد الناس يخلف الوعد إذ ضُرِب به المثل فقال : (مَوَاعِيدُ عُرْقُــوبٍ لَهَا مَـــــثَلاً) فهذا افتراض مُسبق من أرض الواقع ؛ لأنَّ المتلقي يعلم بمواعيد هذا الرجل فكلّها أباطيل فتوظيفه في بنية النصّ الشعري جاء بقصدية مُعلنة ، الغاية منها إيصال الرسالة إلى المتلقي ألا وهي (الحبيبة) التي شبّه ودّها كالماء في الغربال فلا يمسك منه شيئاً، فطوّع هذه الشخصية لخدمة النصّ وزيادة درجة إقناع المتلقي والتأثير به ، أمّا الغاية التي قصدها مع متلقيه فهي ضرورة الإيفاء بالوعود ، فقدّم حِجته على أساس أنّ (عرقوب) لا يفي بوعده مثلما حبيبته لا يدوم ودّها.

ونجد في نص اخر أنّ الشاعر وظّف الافتراض المُسبق في قوله: (من الطويل)

فإيَّاك، إيَّاك المزَاحَ، فإنَّه يـــــجرِّي عليـــــك الدون والساقــط الرذِلا

ويُذْهب ماءَ الوجهِ من بعد جدةٍ ويكسبُ بعدَ العهد صاحبـَه ذُلَّا [2]

ابتدأ الشاعر نصّه بفعل التحذير(إياك) إنّما هي إشارة إلى المزاح المعروف عند المتلقي والذي يتداوله الناس ويعرفوه قد يؤدي بصاحبه إلى ذهاب وقاره وبهائه ويجلب له الذلّ، فتركه أولى ، لذا كرّر الضمير إياك بقوله (فإيَّاك، إيَّاك) دلالة منهُ على النصح والإرشاد بترك المزاح المذموم ؛ لأنّه يحطّ من قيمة الانسان وهذا ما

---

1 - حماسة البحتري: 147 , ويُنظر : ديوان كعب بن زهير , شرح :أبو سعيد السكري ,مطبعة دار الكتب المصرية للنشر والتوزيع , القاهرة , د.ط , 1950 :8 .

2 - المصدر نفسه : 491 .

عرفتهُ العرب ، بيد أنّ هذه خلفية مشتركة بين أطراف العملية التواصلية ومعنى ذلك أنّ الشاعر أسسّ خطابه على أساس أنّ المتلقي لديه معرفة سابقة بهذا الغرض ومن ثُمّ انتقل بعد ذلك لتوظيف الأفعال (يجرّي- يُذْهب - يكسبُ) ؛ ليتشح النصّ بحيوية تزيد من الفاعلية التواصلية بين الباث والمتلقي , وبالآتي يصبح النصّ ذا طاقة حِجاجية وهذه دلالة على براعة الشاعر بتوظيف اللغة ، فيقدّم حججه " بدرجات متفاوتة تتراوح بين النصح والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل شيء[1] محاولاً تحقيق ما يروم إليه مقدّماً أدواته ومن ثُمّ ترويج أفكاره للتأثير بالمتلقي.

وفي صورة شعرية أخرى بالصدد ذاته قال الشاعر(حارثة بن بدر) : (من البسيط)

إنّ الأمورَ لها رب يدَبّرها في الخلق ما بين تجميع ومفترِق

قد يكثرُ المالُ يوماً بعد قلّتهِ ويكتسي الغصنُ بعد اليبس بالورقِ[2]

تكشف دلالة النصّ عن رؤية الشاعر الحكيمة لنصح الآخرين ، فهو على علمٍ ودراية بما يقول, وكذلك هو يعرف أنّ المتلقي يعلم أنّ الله هو مدبر الأمور ، ولكنّه أراد إلقاء الحجج ، لأنّ هدف المتكلّم هو إقناع المخاطب والتأثير فيه .

ويعد الهدف الإقناعي من أهم الأهداف التي يسعى المتكلّم إلى تحقيقها وهذا يرتبط بصورة مباشرة في الحِجاج ؛ لأنّ هدفه قائم على الاستمالة والتأثير [3] . فجمع في البيت الأخير حججه وهي الأُخرى دليلٌ قاطعٌ على لطف وكرم الله إذ بيّن للمتلقي أنّ الموازين قد تتغير وتنقلب في لحظة ما وهُنا يكمن دور الحِجاج فقابل في نصّه بين:

كثرة المال ← قلته

---

1 - استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 2004 : 123 .

2 - حماسة البحتري :441, ويُنظر شعراء امويون , نوري حمودي القيسي , المجمع العلمي العراقي للنشر والتوزيع د.ط, د.ت : 356/2.

3 - يُنظر : خطاب الحِجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي , عباس حشاني ،عالم الكتب الحديث ,الاردن ، ط1 ، 2014 :120 .

اكتساء الغصـــن ←_____ يبسه

فالغاية التي يريدها تكمن في إقناع المتلقي بالـتفاؤل والثقة بفرج الله ، فرصف كلماتـه بشكل متسق ومنسجم ليلائم مقام المتلقي و ليُحقّق ما يصبو إليه .

أمّا فيما يخص الافتراض المُسبق (غير الواقعي) الذي يجنح بالشاعر إلى تضمين الخيال, أو إلى تجلّي الوصف الحالم في شعره و" مثلما تأخذ الصور الشعرية بعض عناصرها من الواقع وتعيد تشكيله على ضوء رؤيا الشاعر ، كذلك تأخذ بعض عناصرها من اللاشعور" [1] ، فكلّ نصّ شعري لابدّ أن " ينتمي إلى فضاء المخيلة بالدرجة الأساس وترتبط بالحالة العاطفية والوجدانية للشاعر النابعـة من عمق التجـربة " [2] . ولابد أن تكون هذه النصوص معـبّرة ومؤثـــرة في وقتٍ واحد ·

منها ما قاله الشاعر (بكر بن النطّاح) : (من الطويل).

وإنّا لنلهو بالسـيوف كما لـــــهـــت فتاة بعـــقـــــد أو سخـــــــاب قرنـــــفـــل

ومـــن يفتـــقر منـــا يعـش بحسامـــهِ ومـــن يفتقـر مـــن ســـائر النـــاس يســـأل

ونحـن وصفـــنا دون كـــل قـــبيـــلـــةٍ ببـــأس شـديدٍ فـي الكتـــــاب المـــنزّل[3]

إنّ المتأمل لبنيـة القصـيدة يجـدها بُنيـت علـى أساسـي (الفخـر والشـجاعة) , فقـد وصف الشـاعرُ قومـه بالبـأس والشـدة ، وهُنـا تكمـن مهمـة المتكلّم فـي إيصـال الرسـالة إلـى المتلقـي بـالرغم مـن أنّ المتلقـي متكونـة لديـه افتراضـات سـابقة فهـو علـى علـم ودرايـــــة بشجاعة القوم وبأسهم فكل هذه التوصـيفات التـي قدّمها الشـاعر حاضـرة فـي ذهن المتلقـي ومعلومـة لديـه لكـــنّ الشـاعر يستمـــــر بتقديم الحِجج ويخضـها

---

[1] - قضايا الشعر العربي الحديث ، د. عبد الله خضر حمد ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، د.ط ، 2017 : 188.

[2] - سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل الى التأويل – قراءات في قصائد بلاد النرجس ، د. محمد صابر عبيد ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع , عمان ، د.ط ، 2009 : 215 .

3 - الحماسة 1/ 673 , ويُنظر: ديوان بكر بن النطّاح , جمعه حاتم صالح الضامن مطبعة المعارف للنشر والتوزيع , العراق - بغداد , د.ط , 1975 : 32.

برمق من الخيال في البيت الأول ، إذ عمد على تكثيف الدلالة من تشكيله للألفاظ وانسجامها فقوله: (وإنّا لنلهو بالســـيوف ....) فهو ألصق صفة الشجاعة لقومه وهذا كان معلوماً عند القوم بأنّهم شجعان فتخيل أنّ لهوهم بالسيف كلهو الفتاة بالعقد والقرنفل ؛ ليحقـّق مبدأ التواصـــل والتفاعل بيت الأطراف المتحاجّة وقوله :(ومـــــن يفتــقر منّا يعش بحسامه) وبذلك نجده مارس شعور التعالي والتفاخر بذاته وقومه ، حتى أنّه عقد مقارنةً بين قبيلته وبين سائر الناس مُقراً إنّ لا مكان للفقر بينهم ليثبت للمتلقي بأس وكرامة قومه ، كذلك توظيفه للضمائر(إنّا - نحن- نا) كُلّ هذه الافتراضات المُسبقة التي رصفها الشاعر في نصّهِ شكّلت بعداً حجاجياً من شأنها التأثير بالمتلقي

ومنه قول الشاعر (ابي فراس الحارث بن سعيد) :(من الطويل)

لَبِسنا رِداءَ اللَيلِ وَاللَـــــيلُ راضِعٌ إلــى أَن تَـــرَدّى رَأســـــــــهُ بِـمَـــشيبِ

فبتنــا كَغُصــنَي بانَــةٍ عابَثَـــــتهُما مـــع الصُبــحِ ريحــا شَمــأَلٍ وَجَنـــــوبِ

إلى أَن بَدا ضَوءُ الصَباحِ كَأَنَّــهُ مَـبادي نُصولٍ فـي عــذارِ خَضيبِ

فَيــا لَيـلُ قَـد فـارَقـتَ غَيرَ مُــذَمٍ وَيــا صُبـحُ قَـــد أَقبَـــلتَ غَيرَ حَبيبِ[1]

يحتجُّ الشاعر للُقيا الحبيبة فيتضمن النصّ الشعري السابق صور وتـــــعابير اختارها بدقة وعناية دالة على مقدرته الشعرية ، فرسم صورة مائزة ومتسقة لها أثرٌ عميق في ذاته ، فمحاكاته لليل ماهي إلاّ ملجأ يلوذ به , فهو هروب مؤقت من تأوهات الواقع وهو معلوم لدى العاشقين بطوله وثقله و ما يحمله من آلام وهموم وهذا افتراض مُسبق إلا أنّ غير الواقعي يتمثّل بقوله :(لَبِسنا رِداءَ اللَيلِ وَاللَـــــيلُ

1 - الحماسة الشجرية :2/ 730 – 731 , ويُنظر : ديوان أبي فراس الحمداني, تح: عباس عبد الستار, د.ط , 2020 : 35.

راضِعٌ) جعل من الليل سربالاً يلبسه وهو رضيع حتى أصبح كهلاً أي :(إلى أَن تَـــرَدّى رَأســـــــــهُ بِـمَـــــشـيـــبِ) ولاريب أنّ دلالة المدة الزمنية ما بين الطفولة والكهولة ترمز إلى طول مدة البعد والجفاء بين العاشقين(فبتنا كَـغُـصـنَي بانَةٍ....) وهذا ما يأسر مخيلة الشاعر فهما (العاشقين) كغصنين تعبث بهما الرياح وتميلهما وتأخذ روحيهما يميناً وشمالاً حتى بدا الصباح دون حبيب.

إنّ فكرة تطويع النصّ من انتقاء الألفاظ وامتزاجها بعنصر التشخيص ما هي إلاّ لاستمالة المتلقي وإثارة عواطفه واقناعه بما يريد ويرغب ألا وهي لُقيا الحبيب .

ومن مظاهر الافتراض المُسبق غير الواقعي قول الشاعر (المقنع الكندي): (من طويل)

إن الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي وَبَينَ بَني عَمّي لَمُختَلِفُ جِدّا
فَإِن أَكُلوا لَحمي وَفَرتُ لحومَهُم وَإِن هدِموا مَجدي بنيتُ لَهُم مجدا
وَإِن زَجَروا طَيراً بِنَحسٍ تَمرُّ بي زَجَرتُ لَهُم طَيراً تَمُرُّ بِهِم سَعدا
وَإِن بادَهوني بِالعَداوَةِ لَم أَكُن أَبادُهُم إِلّا بِما يَنعَت الرُشدا
وَإِن قَطَعوا مِنّي الأَواصِر ضَلَّةً وَصَلتُ لَهُم مُنّي المَحَبَّةِ وَالوُدّا
وَلا أَحمِلُ الحِقدَ القَديمَ عَلَيهِم وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا (1)

إنّ ما يلفت انتباهُنا في النصّ السابق اعتماد الشاعر على أسلوب التضاد ليدهش المتلقي ويشد انتباهه إذ وظّف دلالات ذات أبعاد حِجاجية تناسب القول و تُحرّك المشاعر ووفق هذا التصوّر سيتولّد لدى المتلقي إثارة تكثّف من فاعلية الصورة الشعرية ، فيكشف عن حقيقة مخالفة للواقع ويبيّن أنّ هُناك اختلافاً بينه وبين إخوته

1 - حماسة البحتري : 469 , وينظر : ديوان العرب , د. عائض القرني , مكتبة العبيكان للطباعة والنشر والتوزيع , ط5 , 1430ه :77 .

وأبناء عمومه , وهذا مناقضٌ للحقائق فقد قابل ما بين المتضادات ، فالشاعر في تناقض ما بين(الواقعي وغير الواقعي) وهُنا يظهر التناقض الذي يعتري كوامن ذاته فيعدد مظاهر التضاد المتجلية في النصّ إذ تمّ توظيفها بدقة و جعل منها أداة فاعلة فالألفاظ الآتية جاءت لتصف قوم الشاعر .

أكُلوا لحمي _____ وفررت لحومهم وَلا أَحمِلُ الحِقدَ

هدموا مجدي _____ بنيت لهم مجدا القَديمَ عَلَيهِم

هبطوا غورا... _____ طلعت لهم .....

زجروا...بنحسٍ _____ زجرت لهم ...سعدا وَلَيسَ كَريمُ القَومِ

قطعوا الأواصر _____ وصلت... المحبة مَن يَحمِلُ الحِقدا

فالعلاقة بين هذه الألفاظ هي علاقة تضاد عرض بها الشاعر حِججه وأظهر بها قسوة قومه عليه فيبدون كالوحوش التي تنهش من يقابلها دون أن تأبه له، وبهذه المتتالية التضادية الفاعلة يحاول التأثير بالمتلقي ليتعاطف معه فهده " الوظيفة الانفعالية المركّزة على المرسل تعبّر بصفة مباشرة عن موقف المتكلّم تجاه ما يتحدث عنه " [1]

ومنه قول الشاعر:(سحيم عبدُ بني الحسحاسِ): (من الطويل)

ألا أيُّها الوادي الذي ضمَّ سيلهُ إلينا نوى الحسناءِ حيِّيتَ واديا

فيا ليتني والعامريَّةَ نلتقي نرودُ لأهلينا الرِّياضَ الخواليا

كأنّ الثُّريَّا علِّقتْ فوقَ نحرها وجمرَ غضًى هبَّت لهُ الرِّيحُ ذاكيا

وما بيضةٌ باتَ الظَّليمِ يحفُّها ويرفعُ عنها جؤجؤاً متجافيا

1 - بلاغة المخاطب في البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي الى مقاومته, عماد عبد اللطيف ، مصر ،د.ط , 2016: 16.

ويجعلها بينَ الجناحِ ودفِّهِ ويفرشها وحفاً من الزَّفِّ وافيا

ويرفعُ عنها وهيَ بيضاءُ طلَّةٌ وقد واجهتْ قرناً من الشَّمسِ ضاحيا[1]

ينطوي هذا النصّ على افتراض مُسبق متضمن لمعانٍ غير واقعية جنح إليها الشاعر ليجعل من هذا الافتراض حقيقة وإن كان خيالاً فالشاعر يسرد ويصف لقاءهُ مع الحبيبة وهذا النوع من الافتراضات يكون مصاحباً للأحلام والخيال يقول: (فيا ليتنا والعامريَّةَ نلتقي) وهذه حِجة قيّمة دون أدنى شك , إذ يتمنّى اللقاء مع حبيبته ، وبدأ يصف جمالها فيقول :(الثُّريَّا علِّقتْ فوقَ نحرها - بيضةٌ باتَ الظَّليمِ يحفُّها- بيضاءُ طلَّةٌ ...) فوصف الشاعر بياض نحر حبيبته بأنّه لشدة بياضه يشبه نجم الثريا الذي يعرف بشدة نوره وضوحه في الليل الدامس فيخيّل لهُ وكأنّها ماثلة أمامه , أو قد تكون بين أحضانه فهو يحدّثنا عن أشياء غير واقعية لأنّه لم يلتقِ بها حقيقة بل كان متخيلاً و متلهفاً ومتمنياً لهذا اللقاء لذا " ينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر تابعة الأقاويل مخيلة مؤكدة لمعانيها مناسبة لها في ما قصد بها من الأغراض"(2) وبها يحمل على المتلقي التصديق والاقتناع فقدّم كلّ ما يسند العملية الحِجاجية من دلالات متمثّلة بصورٍ أحدثت أثراً في نفس المُتلقي تقنعه بأنّ الشاعر فعلاً قد التقى بالعامرية وحظى بها .

ومنه قول (العقليين): (من الطويل)

أَمَّا مِنْ لَيَالِي اَلدَّهْرِ إِلَّا يُلِمّ بِي خَيَالُكَ إِلَّا لَيْلَةً لَا اَنَامُهَا

طَوَتْنَا بِأَكْنَافِ اَلْعِرَاقِ فَسَلَّمَتْ فَجَلَى ضَبَابَ اَلنَّوْمِ عَنِّي سَلَامَهَا

فَلَمَّا اِنْتَبَهْنا لَمْ يَكُنْ غَيَّرَ اِرْحَلْ وَغَبْرَاء يَزْقُو آخِرَ اَللَّيْلِ هَامِّهَا[3]

رسم الشاعر صورة جميلة ممزوجة بمشاعر الفراق والذكريات؛ ليبيّن معاناته وشوقه للمحبوبة ولا ريب أنّنا في هذا النصّ إزاء خيال متألق برؤى حالمة فيقول:

---

1 - الحماسة الشجرية :1/ 545- 546 , ويُنظر : ديوان سحيم عبد بني الحسحاس, تح :عبد العزيز اليمني, مطبعة دار الكتب العلمية, مصر - القاهرة, د.ط , 1950 : 21.

2 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء , 325 .

3 - الحماسة الشجرية :2/ 614 .

(يُلِمّ بِي خَيَـــــالُكَ إِلَّا لَيـــــــــــلَةً لَا اَنَامُهَـــا) ، فهو يتمنى أن يزوره خيالها ولو لليلة واحدة ، إذ يتجلّى (الافتراض المُسبق غير الواقعي) في البيت الثاني :(طَوَتْنَا بِأَكْنَاف اَلْعِرَاقِ فَسَلَّمَـــتْ..) فهو يتمنّى أن يلتقي بحبيبته ويأنس برؤيتها ويرى أنّ خيال المحبوبة قد اتّسع حتى طوى البلاد فوصل إليه فعانقهُ , وبهذه الألفاظ المتّشحة بالعشق والهيام يريد أن يلفت نظر المتلقي(الحبيبة) ، فغايته الأولى هي إيصال ما يعانيه إلى قلبها ليرق ويلين ، فالشاعر يبقى في سُهادٍ ليحظى بلقاء المحبوبة حتى وإن كان هذا اللقاء في طيفه وخياله ، وبعدها يقول (فَلَمَّا اِنْتَبَهُنا...) فيـــنتبه ويفيـــق

من ذلك الخيال الحالم الذي افترضه لنفسه وجعل منه واقعاً يألفه , وهُنا أعلن الشاعر خيبته وهذا افتراض مُسبق (غير واقعي) فلم يجد سوى (اِرْحَلْ وَ غَبْـــرَاء) فعمد الشاعر المحاجِج في هذا النصّ إلى تضمين عنصر الخيال ؛ لتكون حِجته قوية وبذلك يضمن إذعان المتلقي لهُ ومن ثمّ تقبّل حِجته .

إذاً نلحظ ممّا سبق أنّ الافتراض المُسبق بشقيه (الواقعي وغير الواقعي) لهُ أهمية كبيرة بالنسبة للحجاج ، فهو يلعب دوراً أساسياً في العملية التواصلية الحِجاجية بين المتخاطبين, وهذا ما لمسناه في النصوص الشعرية أعلاه ، فالشاعر المجيد يتوسّل بكلّ الأدوات ويوظف أساليب عدّة فقد يجنح إلى الواقعي وغيره , أو قد يكون حِجاجه صريحاً أو متخفياً بين ثنايا الألفاظ ليبني حِجاجٍ داخل نصه الشعري ويكوّن صورة جمالية تأسر ذات المتلقي وتُلامس مشاعره ، وبما أنّ الشعر لهُ قصد ملموس وتكمن بهِ رسالة معينة فلا بدّ إذاً من تحقيق التواصل بين الأطراف المتخاطبة بيد أنّه يجعل من العملية التواصلية محققة التأثير في المتلقي ، فيكون الحِجاج الداعم الأول لها .

الـمبـــحـث الثـــانـي

القول المضمر وابعادهُ الحـِجاجية

توطــئة:

القول المضمر هو النوع الثاني من متضمنات القول إذ يكمن في سياق الخطاب الحجاجي وله أهمية كبيرة وأساسية, فهو طريقة من طرق التأثير بالمتلقي لدحض وتأكيد قضية معينة وهنا تتوضح قيمة المضمرات ، فال حِجاج لا يقتصر على الكلام الظاهر الصريح وإنما تتجلّى البنيات الحِجاجية في الكلام المضمر الذي تكمن خلفه

حمولات دلالية ذات قوة حِجاجية ، فتتكرس مهمة المتلقي بالوصول إلى هذه الحمولات فيعمد إلى التنقيب والبحث عن التأويل المناسب لها .

و يرتبط القول المضمر بشكل أساسي " بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدّد على أساس مُعطيات لغوية " [1] ، فالأقوال المضمرة هي رسائل غير ملفوظة ترتكز على السياق اللغوي وتعتمد على التلفظ ؛ لأنّها متضمنة في الألفاظ ، فهي تتعلّق بالمستوى النحوي في تحليل الخطاب فالقول المضمر هو معنى متخفي و متستر في النصّ [2] ، فهو" كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها و لكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات في سياق الحديث " [3] ويشير (فانديك) إلى ذلك قائلاً " إنّ لغة التخاطب الطبيعي ليست صريحة ذلك أنه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيرًا مباشرًا ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عبّر عنها تعبيرًا سليمًا " [4] .

إذ يقوم القول المضمر على " مجموعة من الاستنتاجات يتولاها المرسل إليه بالاعتماد على الأحوال المصاحبة لسياق التخاطب وعلى قدرة وكفاءة المرسل في إبرازها ... وهذا ما يستلزم من المرسل ترتيب حِججه وفق معطيات تلك القوانين الخطابية " [5] ، فتبقى قائمةُ التأويلات مفتوحةً مع تعدد السياقات التي صدر منها

---

1 - التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي , مسعود صحراوي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع , بيروت ، ط 1، 2005: 32 .

2 - يُنظر : البعد الثالث في سيموطيقيا موريس من اللسانيات الى النقد الأدبي والبلاغة، عيد بلبع , بلنسية للنشر والتوزيع , مصر ، ط 1 ، 2009: 425.

3 - التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي : 32 .

4 - النصّ والسياق , فان ديك ، تر: عبد القادر قينيني ، أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع والطباعة بيروت , لبنان، د.ط ، د.ت : 156 .

5 - الحِجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع :108 .

القول , ويبدأ المتلقي بالاستنتاج والاستكشاف بما يسمح له السياق من أجل توضيح خطاب المتكلّم والوقوف على غايته من إذ إيراده الإخفاء والإظهار في القول [1].

زد على ذلك توضيح (كاترين كيربرات) في كتابها المضمر إنّ المتكلّم قد يلجأ إلى الصيغة المضمرة ؛ لتذليل بعض العقبات التي تعترض طريقه وقد تكون هذه العقبات اجتماعية أو سياسية أو قانونية وغيرها ، فثمة العديد من الأمور ينبغي عدم الاتيان على ذكرها بصورة مباشرة , الحبُّ مثلاً فحشمة الجنس تأباه فيلجأ المتكلّم إلى آليات معينة من شأنها أن تؤدي المعنى المراد [2] ، ويرى (ديكرو) أنّه لا يمكننا الاستغناء عن الأقوال المضمرة فيلجأ بذلك المتكلّمون إلى التلميح إحيانًا لأسباب معينة [3] إذ تكمن المضمرات في أدق الآليات التأويلية ليقيم الدليل على الطبيعة الضبابية للمحتويات التداولية المشكوك فيها لاستخراجها , فالفهم الشامل للملفوظ يضمُّ فهم مقتضياته ومضمراته وكل استلزاماته [4] ، وأشار(كانتليان) إلى استعمال الإضمار لهدف ثلاثي ، أولاً حينما تساورنا الشكوك حول وجوب التعبير بصراحة أم لا، ثُمّ ثانياً حين تحول أصول اللياقة دون الكلام المباشر , وأخيراً بقصد بلوغ هدف الأناقة فحسب وهذا ما يجعل المتكلّم يلجأ إلى إسلوب المضمر فيحث المتلقي على البحث عن التأويل المناسب المتجلّي في القول [5].

وفي هذا الإطار تحديداً نستشف ممّا سبق أنّ القول المضمر يخضع للسياق الذي يرد فيه لتحقيق قوة انجازية ذات فعّالية، فيفهم القول استنتاجاً وقد يمثله جملة من

---

1 - يُنظر: التداولية في الفكر النقدي , د. كاظم جاسم العزاوي ، الشركة العربية المتحدة للنشر والتوزيع , القاهرة ، د. ط ، 2016 :124 .

2 - يُنظر: المضمر , كاترين كيربرات اوريكيوني، تر : ريتا خاطر ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم ، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع ، المنظمة العربية للترجمة ، ط 1 ,2008 : 498 .

3 - يُنظر: التداولية واستراتيجية التواصل, د. ذهبية حمو الحاج ، رؤية للنشر والتوزيع ، د.ط 2015: 231 .

4 - يُنظر: معجم تحليل الخطاب, باتريك شارودو، تر: عبد القادر المهيري ، المركز الوطني للترجمة، تونس ،ط1 ، 2008: 297 – 298.

5 - يُنظر: المضمر :497 .

الإشارات في الخطاب, وهذه هي مهمة المتلقي للكشف عن هذه المضمرات المتضمنة في الخطاب الحجاجي والعمل على فكّ شفراتها وفهم مدلولاتها .

ونحن هُنا في صدد الكشف عن النصّوص المتضمنة للقول المضمر والتأمل بها ومعرفة مدى تحقيقها لعنصري الإقناع والتأثير ,وهذا ما سنلمسه في الشواهد الشعرية الآتية :

من ذلك قول الشاعر (بشار بن برد) :(من البسيط)

يا قرّة العين إنّي لا أسميكِ أُسْمي سواكِ أُفدِيها وأَعْنِيكِ

يا أَطيبَ الناسِ ريقاً غَيرَ مُختَبَرٍ إلّا شَهادَةَ أَطرافِ المَساويكِ[1]

نجد أنّ كثير من الشعراء العرب لجؤوا إلى إضمار اسم المحبوبة لأسباب عدّة قد تتعلّق بالقبيلة وما شابه ذلك أو قد تكون لغاية معينة في قلب الشاعر وقد جمع في هذا النصّ عدد من الحِجج ؛ ليدلل بها على عشقه وهيامه لمحبوبته وهذا ما جعله يبرز مقاصده لتؤثر في ذات المتلقي وتستثير اهواءَهُ فيقول: (إنّي لا أسميكِ - أَسْمي سواكِ أفدِيها وأَعْنِيكِ) فإنّ إضمار الاسم يدلّ على خوف وحرص الشاعر على هذه المحبوبة , وهذا له أثر كبير في ذاتها فضلاً عن أنّ المجتمع العربي يرفض مسألة التغزّل بالمرأة علناً وبذلك تكون من أهم الحِجج التي قدّمها في نصّه ، ثم يضفي الشاعر حِجةً أُخرى للتقرّب والتودّد لاحتواء هذه الحبيبة فيجنح إلى ندائها, كما لمسنا ذلك في البيت الأول بندائه لها دون الافصاح عن اسمها بل عمد على إلصاق النداء بصفة أحبها فيها إذ يقول: (يا قرّة العين) ثمّ يقول : (يا أَطيبَ الناسِ ريقاً غَيرَ مُختَبَرٍ....) فوظّف الشاعر طاقة القول المضمر؛ لتكوين قوة إقناعيه ذات طاقة حِجاجية وهذه الأخرى تتأتى من مهارة وبراعة الشاعر لتغيير رأي المتلقي أو لفت انتباهه .

---

1 - حماسة الظرفاء :73/2 .

وفي الصدد نفسه قال الشاعر (خليد مولى العباس بن محمد بن علي ابن العباس) وهو جد أبي العميثل : (من الطويل)

أما والراقصاتِ بذاتِ عـــرقٍ ومن صلّى بـــنعمانِ الأراكِ

لقد أضمرتُ حبكِ في فؤادي وما أضمرتُ حبّاً من سواك[1]

كما مرّ بنا سابقا أنّ شعراء الغزل يجنحون إلى توظيف الحِجج؛ لإثارة مشاعر المحبوبة والتأثير بها وهو يخاطب وجدانها ، فألفاظ النصّ شكّلت قوةً حِجاجية وبعبارة أوضح جعل هذه الألفاظ تسطو على ذات المتلقي وتحرّك عاطفته ,فالنمط الذي وظّفه الشاعر ذات طاقة حِجاجية عالية ، إذ استهل نصّه بالقسم في موضعين, الأول : الإبل الراقصة في مشيتها, والثاني: ذكر المواضع التي تقع قرب الكوفة من ناحية البادية يمرّ به كلّ من يقصد البيت الحرام [2] فيقول :

(والراقصاتِ بذاتِ عـــرقٍ - و بـــنعمانِ الأراكِ) تأكيداً منه واثباتاً على عشقه وهيامه لتلك المـــحبوبة التي أضمر اسمـــها ؛ خوفاً عليها وجعل حبـــّها مُخبوءاً في قلبـــه فيقول :(لقد أضمرتُ حبكِ في فؤادي - وما أضمرتُ حبّاً مـــن سواك) مستثنياً هذا الحبّ عن غيره فأضمره ولن يصـــرّح به ، فهي الوحيـــدة التي سكنت فـــؤاده وتمكّنت منـــه والقول المضمر في هذا النصّ شكّل حضوراً ذات بعد دلالي مؤثر وفعّال فقدّم الشاعرُ حججه بطريقة ذكية وهذه هي وسيلته الوحيدة لإثبات هذا الحبّ الذي يعتري ذاته ليرق ويلين قلبها ومن ثمّ تتحقّق غايته في الإقناع ويصل إلى هدفه المنشود .

ومنه قول الشاعر (عبد الله بن المبارك) :(من الخفيف)

يا عدولَ البلادِ أنتـــم ذِئـــــابٌ سترتكم عن العيونِ الثيابُ

---

1 - حماسة أبي تمام : 122 , لم أعثر على ديوان الشاعر ووجدت الأبيات في الأغاني لأبي فرج الاصفهاني:105/17 .

2 - يُنظر: معجم البلدان, للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت , لبنان 339/1971:5 .

غير أنّ الذئاب تصطاد وحشاً ومباآتهـــا القـفارُ اليـبـــابُ

ويصيدُ العدولُ مال اليَـــتامى باقتـــناصٍ كما يصيدُ العقابُ[1]

الشاعر في هذا النصّ يحاول أن يُظهر حقيقة الإستبداد الذي وصلت إليه السلطة والقبح الذي خيّم على ذواتهم فالنصّ يحمل دلالات مكثّفة أضمرها الشاعر فألفاظهِ التي تضمنها في النصّ ذات طاقة حِجاجية منها (ذِـــــئابٌ – وحش – عقابُ) هي صفاة بشعة للعدول الذي يصيدُ مال اليَـــــتامى ويأكل حقهم فما يستره غير ثيابه (سترتكم عن العيونِ الثيابُ), ومن هذا يريد أن يكشف عن سلب الاموال فظاهر النصّ هو هجاء وباطنه الحثّ على الوقوف بوجه كلّ من يحتقر الذات الإنسانية فالإنسان عندما يريد أن يرفض قضية معينة صادرة من سلطة أعلى منهُ يشعر بأنّهُ رفض حالة العبودية بالذات ، طالباً المساواة مع السلطة الأعلى منهُ لكي يحقّق ذاته[2]، فالنصّ هو اِحتجاج للظلم الذي يصيب اليتامى وعامة الناس إذ قام على قول مضمر يريد به الاستفاقة من السبات الطويل الذي أصاب المجتمع والسكوت على الظلم والاستغلال, فهو لن يصرح بثورة علنية على ذلك وإنّما أضمر القول؛ خوفاً وقلقاً من الجهة الأعلى والأقوى منه فيحمل المتلقي على الإقناع والتسليم بما يريد .

كذلك يكمن (القول المضمر) في قول الشاعر :(من المتقارب)

أَتَيْتُكُ مُشْتَاقًا إِلَيْكَ مُسْلِمًا عَلَيْكَ وَانِـــي بِاحْـــــتِجَابِكَ عَـــــــالَمُ

---

1 - حماسة الظرفاء :2/ 165, ويُنظر: ديوان الإمام عبد الله بن المبارك , تح: مجاهد مصطفى بهجت , دار الوفاء للنشر والتوزيع, د.ط , 1987 : 38 .

2 - يُنظر : الإنسان المتمرد، البير كامو، تر: نهاد رضا ، عويدات للنشر والتوزيع – بيروت ط3 ، 1983 :20

فَقَالَ لِي اَلْبَوَّابْ أَنَّـــكَ نَـــــــائِمٌ وانت إذَا اِسْتَيْقَظَتْ أَيْضًا فنَائِمُ [1]

يحتج الشاعر في هذا النصّ عن البخل الذي أصاب بعض الخلفاء أو أصحاب الشأن الذين يقصدهم الناس وبذلك انتقد الشعراء هذه الظاهرة آنذاك ، فالشاعر في هذا النصّ أضمر القول بالبخل ولم يصرح به مباشرةً فلجأ إلى التلميح لأسباب معينة ، وبالرغم من علم الشاعر بالاحتجاب لصاحب الشأن وتقديم الأعذار له لعدم استقباله من قبل سيده: (فَقَالَ لِي اَلْبَوَّابْ أَنَّـــــــــكَ نَـــــــــائِم...) إلا أنّه أرفده بالحِجج التي يستميل بها ذهنه ويتقرّب بوساطتها له ويقنعه بقضاء الحاجة التي أتى بها فقال: (أَتَيْتُكُ مُشْتَاقًا إِلَيْكَ مُسْلِمًا عَلَيْكَ) لعله يحظى بما يريد وهذه كلّها حجج أدلى بها الشاعر إذ تمكّن من توظيف أدواته فبدت ذا طاقة إقناعية من شأنها أن تؤثر بالمتلقي .

لذا فإنّ أنجع الخطاب هو الذي تقوى درجته عند السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه, وهذا هو الهدف الأساس من العملية التخاطبية الحِجاجية [2] ، وبذلك دعى المتلقي إلى التأمل والتفكير والعمل على اتخاذ موقف مغاير لما هو عليه ومن ثُمّ حمله على الإذعان له .

ومن أمثلة (القول المضمر) قول الشاعر : (من الكامل)

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بُـــغاء الخير تَعقادُ التمائمْ

ولا التشاؤمُ بالعطاسِ ولا التيمُّن بالمقاسمْ

....

....

---

1 - حماسة الظرفاء :134/2, ويُنظر معجم الشعراء, أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني , تح: عبد الستار أحمد فراج , دار إحياء الكتب العربية, القاهرة , د.ط , 1960

2 - يُنظر : الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم,عبد الله صولة ، إشراف :حمادي صمود، منشورات كلية الآداب, تونس : 299 .

وكذاكَ لا خـــــيرٌ ولا شرٌّ على أحد بدائِمْ[1]

اعتمد الشاعر في هذا النصّ على أسلوب النفي كطريقة لإقناع المتلقي بتركه أمراً قد بالغت به بعض القبائل وساد في المعتقدات الجاهلية حتى اعترض الكثير من الأفعال التي أرادوا القيام بها فامتنعوا وأحجموا عنها لتطيّرهم ، فأراد الشاعر بهذا النصّ أن ينكر ويبعد هذه الأوهام التي علقت في عقول النـــــــاس لكنّه لم ينههم عنها بصورة صارمة تنفر منها النفوس وتمج لها الأسماع ؛ لذلك أضمر غايته إذ أراد " أصول اللياقة دون الكلام المباشر " [2] . فألقى بالـــــحِجة بقولـــــه: (لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحد بدائِمْ) لذا نجد أنّ الشاعر استعار لغة النصّ من الواقع الأجتماعي آنذاك جاعلاً منه وسيلة وحجة لنيل مراده بنبذ هذه العادة فجنح إلى الإضمار؛ ليكون أكثر تأثيراً وأشد وقعاً في النفوسِ .

وكذلك يتجلى (القول المضمر) في قول الشاعر(بشار بن بشر المجاشعي) :(من الطويل)

وإني لعفٌّ عن زيارة جـــــارتي وإنّي لمشنوءٌ إليّ اغتيابـــــهـا

إذا غاب عنها بعلها لم أكن لها زؤوراً ولـــم تأنس إليّ كلابـــهـا

ولم أك طلاّباً أحاديث ســــــرِّها ولا عالماً من أي جنسٍ ثيابها[3]

ففي هذا المقطع نلاحظ بوضوح كيفية توظيف الشاعر للقول المضمر، فالمقام هو مقام مدح لذات الشاعر التي تترفع عن الوزر وتحترم حقّ الجار, وهذه من شيم العرب فالشاعر هنا وظّف لفظة(عفٌّ) دلالة على التنزّه والامتناع عن كلّ سيء وعلى الرغم من هذه المحددات لكنّه امتنع عن التصريح المباشر لمدح ذاته وإنما جعل المتلقي هو من يستشعر هذا الشيء ويلمسه من النصّ الذي قدّمه وبهذا الأسلوب الذي يتضمّن الافتخار بالذات يقول: (وإنـي لعفٌّ عن زيارة جـــــــــــارتي - وإنّي لمشنوءٌ لـــدى اغتيابـــهـا) فإنّ تكرار الضمير ما

1 - كتاب الوحشيات أو الحماسة الصغرى :166 , ويُنظر ديوان المرقشين,عمر بن سعد وعمر بن حرملة, تح: كارين صادق , دار صادق للنشر والتوزيع, بيروت, لبنان, د.ط , 1998 : 75.

2 - يُنظر: المضمر :497 .

3 - الحماسة الشجرية :2/ 467 468 .

هو إلا تأكيد منه للافتخار بذاته ولمكانته بين أبناء جلدته, فهو محتج لمكانة هذه الجارة عنده فقدّم حجته بطريقة تشد الانتباه وتقوم على انتقاء حسن الألفاظ لتتجانس مع المعاني ، إذ رصف نصه بعبارات موحية يأنس بها المتلقي، فالشاعر هنا " يؤسس العلاقة بين الدال والمدلول ويباشر في شعره خروجاً متواصلاً على مستوى اللغة فيخفي المعنى ويحتاج المتلقي إلى وسائط تذلل الصعوبة وتيسر الفهم " [1] ، فعمد إلى إضمار القول وعدم التصريح به ليكون أشد ضراوة وليمنح النصّ طاقة حِجاجية عالية إذ بنى حججه على هذا الأساس ومن الحِجج التي أدلى بها قوله :

لم أكن لها زؤوراً

لم تأنس إليّ كلابها

لم أك طلاّباً أحاديث سِرّها

ولا عالماً من أي جنسٍ ثيابها

فنفى عن نفسه الصفات كلها التي تحطّ من قيمة الرجل وتجعله يتحلّى بصفات النساء وأحاديثهن فيجالسهن ، كذلك نفى عن نفسه القرب الذي ينافي أخلاق مجتمعه وعاداتهم ، لذا كان نصه مدعماً بطاقة حِجاجية ممّا دفع المتلقي إلى إعلان موقفه من شخص الشاعر ومن ثُمّ التأثير به . فحمل النصّ جملة من الإشارات التي كمنَت بين ثنيات السطور واختبأت خلف ستار الظاهر الصريح وهذا ما بدا جليا به ، فالأبيات السابقة تضمّنت حجاجاً عميقاً فجعل من المتلقي مشاركاً فعّالاً مستجيباً له ليحقّق بذلك أهدافه الحِجاجية التي جنح إليها .

وكما اسلفنا القول إنّ الحِجاج غايته الأولى هي إقناع المتلقي ولا يتحدّد ذلك إلا بتحديد جملة من الأمور منها: قوة الحِجج ومدى فاعليتها وهذه تتأتى من نجاعة الخطاب وانسجام عناصره لجعل الكلام مقبولاً ومفهوماً وهنا يكون أقدر على اجتياح عالم المتلقي ومن ثُمّ التأثير به .

---

[1] - الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة وبنيته وأساليبه :63

نستنتج ممّا سبق أنّ صور القول المضمر تتعدّد بتنوع الأغراض الشعرية فالشاعر المحتج يُقدّم كُلّ ما لديه من إمكانات؛ ليضمن بذلك إنجاح العملية ال حِجاجية بين الأطراف المتحاورة ليأخذ الخطاب صفته التفاعلية ، وإنّ توظيف الشاعر للإضمار ما هو إلّا محاولة منه لرفد الخطاب بالقدرة الإقناعية ومن ثُمّ التأثير في المتلقي, فالشاعر يوظّف حِججه مستنداً على جملة من الأسس المتعددة التي تحمل المتلقي على الإقناع ومنها – كما ذكرنا- القول المضمر فيلجأ له في حالات معينة عن طريق المخاتلة, إذ يختبئ خلف المعنى الذي طرحه ليخرج نفسه من مأزق معين و يبرئها من المسؤولية التي تلقى على عاتقه بعد إلقاء نصّه الشعري وهذه تكون في مناسبات مختلفة وبحسب ظروفها ، كاحتجاجه على فكرة معينة أو لموقف معين ، وهذا من شانه أن يضعنا أمام قدرة الشاعر وفنيته في حشد الحِجج ليحقّق بذلك تأثيراً مباشراَ بفكر المتلقي ، وأحياناً يعمد الشاعر إلى (القول الصريح) ليمرر منه غايات تضمر في ذاته يريد تمريرها إلى المتلقي ليحظى بالاستجابة والقبول.

الفصــل الثالث

التقنيات الحِجاجية في كتب الحماسة

مدخل تنظيري :

تُمثل التقنيات الحِجاجية من أسساً مُهمةً يرتكز عليها النصّ الحجاجي؛ لأنّ أي نصّ يهدف إلى الإقناع والتأثير بالمتلقي ولذلك نجد أنّ المخاطب يلجأ إلى توظيف تقنيات من شأنها إحداث تغيير في الرأي أو في السلوك ,ومن ثم تعمل على إشراك المتلقي في القضية الموجهة إليه فيصبح بذلك جزءاً لا يتجزأ منها، ولهذا نجد أنّ

الشاعر يعمل على بثّ تأثير عاطفي ونفسي لخلق نصّ متشح بالقوة , والطاقة التأثيرية, وهذا ما يجعل النصّ مجالاً لغويا تَداولياً في توجيه المعنى المقصود ليوصل قصده إلى المتلقي والوصول إلى كلّ ذلك ولكي يحقّق المخاطب فعل التأثير لابدّ له من تتبع تقنيات حِجاجية لعرض الحِجج وترتيبها ومن ثُّم يصل بها إلى الإقناع .

ولذا فإنّ " ارتباط الإقناع بالحِجاج مرده إلى الوظيفة الحِجاجية من وراء كل تواصل بهدف دفع المتلقي إلى فعل معين أو لتغيير سلوك معين " [1].

وينتج ممّا سبق ذكره أنّ النصّ يتخذ بعداً حجاجياً عندما يوظّف مختلف الحِجج والآليات مما يقتضي الاهتمام بطريقة عرض أصناف هذه الحِجج ومن ثم الانطلاق بها إلى عالم المتلقي.

وبذلك يصبح للتقنيات آثار حِجاجية يحتج بها الشاعر و يطوّعها لخدمة النصّ ولجذب الانتباه فإنّ الاعتماد الأول للحِجاج يقع على عاتق المُتكلِم من حيث اختياره لهذه التقنيات ومن ثم توظيفها في قوالب شعرية تناسب مقام المتلقي .

فالنصّ الحجاجي بوصفه لغة طبيعية يتشكل من وسائل وتقنيات لغوية مختلفة يوظّفها المُتكلِم ؛ بقصد تنظيم الخطاب والعلاقات في حجاجه ومن ثم بلوغ مقاصده[2] وبهذا نجد أنّ هذا النصّ ينطوي على إشارات مهمة ذات أبعاد حِجاجية و ثقافية تتفاعل وتتوسل باللغة من أجل أن تشكّل فضاء للمعنى في إطار السياق الكلي للنص

1 - استراتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ البشير الإبراهيمي , حمدي منصور جودي , مجلة كلية الآداب واللغات , جامعة بسكرة ، العدد العاشر- جانفي، 2012 : 320 .

2 - يُنظر: بلاغة الاقناع في المناظرة, عادل عبد اللطيف ، منشورات ضفاف ، بيروت , لبنان ط 1 ,2013 : 99 .

[1] . فالخطاب يشتمل على عدد من الروابط والسلالم الحِجاجية يترتب فيها عدد من الحِجج والنتائج يوظّفها المُتكلِم ليستمد المقـــــبولية إلى من وِجه لهُ النصّ الشعري .

وفي هذا الفصل حاولنا رصد التقنيات التي تستند عليها البنية الحِجاجية في كتب الحماسة, وقد قُسّم الفصل على مبحثين ، الأول منه يتمثّل في الروابط الحِجاجية ومدى فاعليتها في كتب الحماسة ، أمّا المبحث الثاني فيتمثل بالسلّم الحجاجي وقوانينه الحِجاجية .

1 - يُنظر: بلاغة الحجاج في النصّ الشعري الشميزي أنموذجا, يوسف محمود عليات، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق ، المجلد 29 : 255

المبحث الأول

الروابـــــط الحِجاجية

توطئة:

في بادئ الأمر لابد أن نشير إلى أنّ العوامل والروابط الحِجاجية من المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها الحجاج بغرض التأثير في المتلقين وحملهم على الاقتناع إذ لها أثرٌ كبير في النصّ الحِجاجي ؛ لأنّها تقوم بتوجيه المتلقي إلى وجهة معينة, وهذه الغاية الأسمى للنصّ الحِجاجي ولذلك تدفع به إلى الإقناع عبر الاستمالة والتوجيه نحو الغاية الموجهة إليه فتشمل اللغة العربية عددًا من الروابط الحِجاجية , ويقصد بالرابط الحِجاجي هو " العلاقة التي تصل شيئين ببعضهما البعض وتعني كون اللاحق منهما متعلق بسابقه" [1]، كذلك "هو الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار استراتيجية حِجاجية واحدة " [2]

وتعد الروابط " من ضمّن أهم المواضيع التي ينعكس فيها هذا التوجيه الحِجاجي بل أنّ سائر المظاهر الحِجاجية الآخرى ترد في الغالب متفاعلة مع الروابط والعوامل الحِجاجية " [3] ، ولهذه الروابط دورٌ حِجاجي مهمٌ فوجود الرابط في الملفوظ يؤدي إلى تقديم ارشادات تحدّد الوجهة الحِجاجية ومن ثُمّ تحدد طبيعة الفعل الحِجاجي الذي ينجزه المتكلّم أي القصد الذي ينطوي عليه ويريد إيصاله إلى المتلقي [4] لذا هي " لفظة قرينة تعمل على اتصال أحد المترابطين بالآخر" ([5]) .

1 - معجم المصطلحات النحوية والصرفية , محمد سمير نجيب، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع بيروت، ط1 ، 1985:95.

2 - اللغة والحجاج, أبو بكر العزاوي: 29.

3 - المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية ، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ,الدار البيضاء المغرب ، ط 1 ،2004 : 98.

4 - المظاهر اللغوية للحجاج: 104.

5 - اللغة العربية معناها ومبناها, د. تمام حسان،الدار البيضاء,المغرب, د. ط، 1994:213.

وإنّ الربط بين القضايا إنّما يتحدّد بنوع من تجانس وتعلّق الأحداث ببعضها ممّا تشير إليه تلك القضايا ولكي يحصل هذا التجانس لابد من وجود أداة تربط بين الجمل وترتب الحِجج لتكون أكثر إقناعاً [1] .

وليست الغاية من الروابط الحِجاجية إقامة ترابط بين قضيتين فحسب بل تكمن في الاضطلاع بوظيفة توجيهية وتأويلية استدلالية حِجاجية من هذا الترابط [2] . ولكن هذا غير كافٍ فلابدّ من وجود ضامن يضمن تحقق عملية الربط بين الأقوال الحِجاجية، أي بين الحِجة ونتيجتها، وهذا الضامن هو ما يعرف بـ (المبادئ الحِجاجية) والتي هي عبارة عن مجموعة مشتركة من المعتقدات والأفكار بين الأفراد داخل منظومة بشرية معينة [3] . إذ لابد للمتكلّم أن يلقي الحِجج الأكثر تأثيراً في ذهن المخاطب ليحقّق بذلك مُبتغاه .

فالروابط الحِجاجية على أنواع مختلفة فلابد من تمييزها وفق ما يأتي : [4]

- **روابط التعارض الحِجاجي (بل، لكن، مع ذلك .....)**
- **روابط التساوق الحِجاجي (حتـــى، لا سيـــما.....)**
- **روابط المدرجة للنتائج (إذاً ، لهذا ، بالتالي .....)**

ومن الجدير بالذكر أنّ **(ديكرو)** أولى اهتمامًا كبيراً بالروابط؛ لما تحمله من دلالات حِجاجية خاصة بالتداول؛ لأنّها تصل المقدمات بالنتائج [5] وكذلك نظراً

---

1 - يُنظر: النص والسياق استقصاء البحث الدلالي التداولي, فان دايك ، تر:عبد القادر قنيني دار افريقيا الشرق الدار البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع, المغرب ، ط1، 2000 : 76.

2 - يُنظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله, د. رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر الكويت ، ع2، مج40 ، 2011 : 104.

3 - يُنظر : التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 200: 66.

4 - اللغة و الحجاج , أبو بكر العزاوي : 30.

5 - يُنظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، مثنى كاظم صادق ، منشورات ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1 ، 2015 : 69.

لفاعليتها في إحداث الانسجام والاتساق للوصول إلى هدف المتكلّم ومن ثُمّ التأثير بالمتلقي وهذه تمثل " المؤشر الأساسي والدليل القاطع على أنّ الحجاج له مؤشر في بنية اللغة نفسها "[1] فدور الروابط الحِجاجية يأتي من " استثمار دلالاتها في ترتيب الحِجج ونسجها في خطاب واحد متكامل إذ تفصل مواضع الحِجج بل وتقوي كلّ حجة منها الحجة الآخرى وتتسمم هذه الروابط في الحفاظ على انسجام النصّ واستمراريته كما تساهم في تدرج الفهم ونموه وهذا كلّه من أجل خدمة الغاية الحِجاجية التي من أجلها انتج الخطاب " [2] . ولابد من تواجد الروابط الحِجاجية في كلّ خطاب أدبي ليسهم إسهاماً فعّالاً في اتساقه وانسجامه وبذلك تقوم " الروابط الحِجاجية بدورٍ تركيبي بالنسبة للنص فهي تضمّن الاتساق الشكلي التركيبي بين الجمل فضلاً عن دورها الحِجاجي وهي أدوات تربط بين ملفوظين أو عدة ملفوظات"[3]

وبذلك تكمن الوظيفة الأساسية للروابط الحِجاجية في الربط بين الألفاظ؛ لتحقيق الاتساق والانسجام فأصبح لها أثرٌ فعّالٌ في تحقيق العملية الحِجاجية والعمل على إنجاحها بمقتضياتها ومن ثُمّ توجيه الدلالة الحِجاجية التي يتم التركيز عليها من المتكلّم .

وإنّ من أهم تلك الَّروابط التي اشتملت عليها كتب الحماسة الشعرية والتي تميزت بفاعليتها الحِجاجية سنخص بالذكر منها ما كان أكثر تداولاً وتضميناً في هذه الكتب

أولاً الرابط الحِجاجي لكنّ : " هي للاستدراك وتتوسط بين كلامين متغايرين نفياً وايجاباً فنستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي" [4] ، فتعمل أداة الربط (لكن)

1- اللغة و الحجاج :55 .

2 - التدرج البلاغي في الرسالة الصحفية مقاربة تفسيرية للسلم الحجاجي ,اكرم فرج الربيعي، دار امجد للنشر والتوزيع ،المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2016 : 93 .

3 - الحِجاج والشعرية والتأويل في الشعر العربي القديم, مصطفى رجوان ، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1 ، 2021 :100.

4 - شرح المفصل للزمخشري, أبو البقاء بن يعيش الموصلي, تح: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت, لبنان ، ط1، 2001 :560/4.

بـالربط بـين المعطـى التـداولي والنتيجـة [1] وتكمـن وظيفـة هـذا الـرابط بالتوسـط بـين قولين حجاجَّيين مكثفين في المعنى.

ومنهُ قول (عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب): (من الطويل)

ولستَ براءٍ عيب ذي الـــــــود كله ولا ناظر فيـــــــــه إذا كنتَ راضيا

وعينُ الرضى عن كل عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عين السُّخط تبدي المساويا[2]

نُلاحظ في النصّ السابق تقديم الشاعر للحِجج الآتية فالحجّة الأولى تتمثّل في

لست براء ...

لا ناظر فيه ... النتيجة (عين الرضا)

أمّـا النتيجـة المضـادة التـي أدلـى بهـا الشـاعر هـي (عين الرضـا) وهـذه موجّهـة نحـو نتيجـة مضـادة لهـا, فالنتيجـة المضـادة تتمثّـل بمـا بعـد أداة الـربط (لكـن) وتتمثّل بـــــ (عين السخط) فنجد أنّ الشاعر قد قدّم الحجة الثانية وهي الأقوى والأكثر تـأثيراً بـالمتلقي وبـذلك وجّـه القول توجيهاً حجاجيـاً وعمل هنـا الـرابط (لكن)عمل الربط بين قولين متنافرين وهما (عين السخط و عين الرضـا) وهـذا كلّـه يسـهم في توجيه القول نحو نتيجة مقبولة وناجعة تؤثر بالمتلقي .

ومنه قول (أبي الطيب المتنبي): من(الوافر)

لَبِسْنَ الوَشْيَ لا مُتَجَمّلاتٍ ولكِنْ كَيْ يـــــــــصنّ بهِ الجَمَالا

وضَفّرْنَ الغَدائِرَ لا لحُسْنٍ ولكنْ خِـــفنَ في الشّعَرِ الضّـــلالا [3]

الشاعر في هذا النصّ ربط بين حجتين الأولى تتمثّل بما قبل الرابط (لكن) فالحجة الأولى تكمن في قوله:

لَبِسْنَ الوَشْيَ لا مُتَجَمّلاتٍ

---

1 - رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البالغة - دراسة حجاجية , رائد مجيد جبار الزبيدي, أطروحة دكتوراه , كلية الآداب ، جامعة البصرة ،2013: 99 .

2 - الحماسة الشجرية: القسم الأول:253 .

3 - الحماسة : 1012، وينظر : شرح ديوان المتنبي ,تح: عبد الرحمن البرقوقي ، مؤسسة هنداوي للنشر والطباعة والتوزيع ، د.ط ، 2014 : 938 .

الحجة الثانية تكمن في قوله:

ضَفّرْنَ الغَدائِرَ لا لــحُسْنٍ

فالحِجج السابقة قدّمها ليخدم بها نتيجة أقوى, فالأولى تقابلها نتيجة مضادة وهي (كَيْ يـــــــصنّ بـهِ الجَمَـالا), أمّـا الحجـة الثانيـة تقابلهـا نتيجـة مضـادة ثانيـة وتتمثّـل بقوله (خِفنَ في الشّعَرِ الضّلالا) ،أراد الشاعر تقديم هذه الحِجج بوساطة الرابط (لكن) حتى يشعر المتلقي أنّ اللواتي ذكرهن في شعره لا حاجة لهن بلبس الزينة والديباج ولا حاجة لظفرهن الغدائر للإغراء والمتعة فجمالهن لا يحتاج إلى زينة فهن مكتفيات بجمالهن فعملت أداة الربط (لكن) عملاً تعارضياً بين ما قبل الأداة وما بعدها فمجمل القول إنّ الشاعر وظّف هذه الأداة؛ ليسهم في بناء فني يؤدي دوراً فعّالاً يتجلّى بربطه للأقوال ومن ثُمّ التأثير بالمتلقي .

فأصبحت بذلك موجهاً أساسياً للقول ؛لأنّها وجّهت الخطاب الحِجاجي إلى وجهته المطلوبة وهذا ما عمد إليه الشاعر لكي يهدف إلى تعديل رأي المتلقي ومن ثُمّ إقناعه بما يريد .

ثانياً : الرابط الحِجاجي (حتى) : هذا الرابط من أهم الروابط الحِجاجية العاطفة [1] إذ أنّ " الحِجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حِجاجية واحدة أي أنها تخدم نتيجة واحده ثُمّ أنّ الحجة التي ترد بعد حتى هي الأقوى وهو ما يقصده النحاة بقولهم أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها ولذلك فإنّ القول المشتمل على الأداة حتى لا يقبل الإبطال والتعارض الحِجاجي " [2] .

كذلك لنتأمل أبيات الشاعر (الأحوص بن محمد الأنصاري) والتي أيضاً رفدها بالرابط الحِجاجي (حتى) ليروم بتحقيق ما يريد فيقول في ذلك : (من البسيط)

---

1 - يُنظر الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو ، رشيد الراضي، عالم الفكر، سبتمبر ع1 ، 2005 :234.

2 - اللغـــــة والحـــــجاج :73 .

أَدعو إلى هَجرِها قَلبي فَيَتبَـــعُني حَتّى إذا قُلتُ هَذا صـــــادِقٌ نَزَعا

وَزادَني كَلَفاً في الحُبِّ أَن مُنِعَت أَحَبُّ شَيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعـا[1]

نلاحظ في هذا النصّ أنّ الشاعر يوجّه خطابه إلى المحبوبة محتجاً لمكانتها في قلبه فانتقى أحسن الألفاظ لتتناسب وجوّ القصيدة, فحرص الشاعرُ كلّ الحرص على توظيف الرابط الحِجاجي (حتى) وهذا يؤول إلى نتيجة واحدة هي الاقناع والتأثير بالمحبوبة، فمن جهة يدعو قلبه المحطّم إلى هجرها, وبعدها يَعدل عن ذلك فكلّما امتنع عنها زاد حباً وشوقاً وولهاً لها، فيقدّم بعد ذلك ربطه للحجج " ليكيّف خطابه على قدر متلقيه وليحصل على التفاعل وكسب واستمالة المتلقي ونيل رضاه " [2] وبهذا سيصل الشاعر إلى نتيجة مفادها الوصول إلى محبوبته والتأثير بها.

فرتّب حججه متمثّلة بتقديمه للنتيجة المدعمة بالحجة فقوله:(أَدعو إلى هَجرِها قَلبي فَيَتبَـــعُني) ومن ثُمّ يتوسط النتيجة الرابط (حتى) ليلحق بها الحجة المتمثّلة بقوله: (إذا قُلتُ هَذا صـــــادِقٌ نـــــــزَعا), فالشاعر عمد إلى ربط الحِجج بالنتائج بهدف استمالة المتلقي ، ولا يعدو ما قاله وما ناسب بين ألفاظه أن يكون حيلة منه ليصل بها إلى قلب المحبوبة وهذا راجع إلى ذكاء وفطنة الشاعر لإختياره الدقيق للألفاظ ومن ثُمّ تركيبها حجاجياً فأصبح ما بعد الأداة (حتى) غاية لما قبلها وقدّم النتيجة ليضمّن إذعان المتلقي وليضفي طاقة حِجاجية كثّفت وعزّزت من قوة النتيجة المقدمة للمتلقي لتؤثر به وتحمله على الإذعان فنجد أنّ النصّ زآخرٌ بالعاطفة الجياشة والخيال الخصب من حيث توظيفه للألفاظ والعبارات التي تؤثر في ذهن المتلقي .

كذلك نجد أهمية هذا الرابط الحِجاجي في قول الشاعر (يحيى بن علي الأرمني): (من الطويل) .

لقد طال حملي الرمح حتى كأنـــه على فرسي غصن من الذرح نابت

---

1 - الحماسة الشجرية , 521، ويُنظر: شعر الأحوص الأنصاري ، تح: عادل سليمان جمال ، قدّمه شوقي ضيف ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع, مصر, القاهرة ط2 ، 1990: 195 .

2 - دينامية النصّ تنظير و انجاز: محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي, بيروت الدار البيضاء ط 1 ،1987: 51 .

يطول لساني في العشيرة مصلحاً على انه يوم الكريـــــهة صـــــــامت [1]

أسّس الشاعر صورةً شعريةً قائمة على الفخر بالذات من حيث الشجاعة والبأس، إذ قدّم فخراً ذاتياً يتفرّد به على غيره ، وهنا يصوّر رمحه وكأنّه غصنٌ نابت على فرسه, وهذا دليل قدمه لمتلقيه يبيّن به مدى بأسه وثباته في أرض المعركة فوظّف الرابط (حتى) في نصّه الشعري ويتمثّل هذا بقوله:(**لقد طال حملي الرمح...) فهي** حجة تخدم النتيجة وأردفها **بالرابط الحجاجي(حتى) ومن ثُمّ قدّم النتيجة الآتية (كأنـــه على فرسي غصن...)** وهذه النتيجة دعمت الحجة وايّدتها؛ لتثير ذهن المتلقي وتحقّق بذلك دلالة حِجاجية تزيد من قوة وفاعلية النصّ ، فالشاعر مستمر بالفخر الذاتي في مناحي النصّ وهذا متمثّل بقول:(يطول لساني في العشيرة مصلحاً) و(إنّه يوم الكريـــــهة صامت) فهو يقابل بين مواقفه التي يتوجب عليه الكلام بها ألا وهي الإصلاح والنصح والارشاد لبني جلدته ومن جهة آخرى بين صمته وانشغاله التام في المعارك فلا وقت لديه للكلام ، فقد استطاع بهذا التمازج أن يثير الانتباه فقدّم نصّاً متشحاً بالحمولات الحِجاجية يدعو بها المتلقي إلى الغوص والكشف عن المغزى الأساس فنجده برع في تقديم حججه بطاقة إقناعية تؤثر في المتلقي وتعمل على لفت انتباهه لبأسه وبسالته .

ثالثاً: الرابط الحِجاجي الواو

يعد الواو من روابط الوصل ونقصد بالوصل " هو علاقة منطقية تتمثّل في تكوين قضية مركبة انطلاقاً من قضيتين بسيطتين بواسطة هذا الرابط " [2] ومهمة هذا الرابط تكمن في " إشراك شيئين في حكم واحد " [3] وأطلق (فان دايك) على هذا

---

1 - الحماسة الشجرية : 83 ، وينظر: المنتخب من ديوان العرب , خير الدين شمسي ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط ، 2000 : 338 .

2 - التداولية اليوم علم جديد في التواصل, آن روبول جاك موشلار، تر: سيف الدين ومحمد الشيباني 276 .

3 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, ابن هشام الأنصاري ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1991 :463

النمط من الروابط مصطلح (روابط التشريك)؛ لأنّ وظيفتها تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة لإقناع المتلقي بتقديم حجج تساند النتيجة وتقويها [1].

منه قول (عمر بن كلثوم):من الوافر

ونَحنُ الحاكِمونَ إذا أُطِعنا وَنَحنُ العازِمونَ إذا عُصينا

وَنَحنُ التارِكونَ لِما سَخِطنا وَنَحنُ الآخِذونَ لِما رَضينا

وَكُنّا الأَيمَنينَ إذا اِلتَقَينا وَكانَ الأَيسَرين بَنو أَبينا

فَصالوا صَولَةً فيمَن يَليهِم وَصُلنا صَولَةً فيمَن يَلينا

فَآبوا بِالنِهابِ وَبِالسَبايا وَأُبنا بِالمُلوكِ مُصَفَّدينا

لَنا الدنيا وَمَن أَمسى عَلَيها وَنَبطِشُ حينَ نَبطِشُ قادِرينا[2]

تمكّن الشاعر في معلقته من توظيف أدوات حجاجية تخدم الموقف الشعري الذي يتعامل معه ، فنجد أنّ النصّ رُصفت ألفاظه وترابطت بصرامة, وقوة مؤثرة إيجاباً على المتلقي لتجعله يتقبل بما يُلقى عليه، لذلك نرى في هذه الابيات انسجاماً مفعماً ومتشحاً بقيمة حِجاجية ذي طاقة عالية؛ لإثبات قضيته ألا وهي الفخر بآبائه وأجداده إذ نجد هذا في قوله: (ونَحنُ الحاكِمونَ إذا أُطِعنا.. وَنَحنُ العازِمونَ إذا عُصينا .. وَنَحنُ التارِكونَ لِما سَخِطنا.. وَنَحنُ الآخِذونَ لِما رَضينا) فتوظيفه للتكرار جاء بمقصدية لما له أهميه بالغة في الحجاج لتوضيح ما يريد إيصاله للمتلقي, ومن ثُمّ التأثير به فكرّر ضمير الجماعة (نحن)؛ للدلالة على الفخر والقوة والعزة، موظفاً الرابط الحِجاجي (الواو) الذي سبق الضمير (نحن) في كلّ مرة؛ ليزيد من قوة التأثير وشدته ، ولعل تقديم الشاعر لهذه الصور وربطها بـ(الواو) كانت أنجع في تحديد الأبعاد الحِجاجية ومدى قابليتها للفت الانتباه إلى بسالة وعزّ وكرامة قومه ، ويستمر الشاعر في توظيفه للرابط (الواو) ليزيد من الطاقة الحِجاجية وليكثّف بها معاني الفخر, فهو يرمي إلى إظهار قومه بأبهى صورة معدداً بذلك صفاتهم فهو يقابل

1 - يُنظر: النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:83 .

2 - الحماسة :576- 577 ، ويُنظر: ديوان عمر بن كلثوم ، تح: إميل بديع يعقوب, دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، لبنان - بيروت ، ط2 ، 1996: 83 .

بينهما لذا فإنَّ أحسن ما يقع في الشعر " أن تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكاً وابلاغاً بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأنّ تناظر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين امكن في النفس ، لذلك كان موقع المتقابلات من النفس عجيبا" [1].

ومن ثُمّ يجنح بعد ذلك إلى عنصر المقارنة ليقدّم الدليل على كلّ ما قد قام به قومه ليدلل على مدى قوتهم وشجاعتهم فيقول :

صـــــــــالـــــــــوا صَـــــــــولَةً صُلنا صَولَةً فيمَن يَليـــنا

فَآبوا بِالنِهابِ وَبِالسـَبايا وَأُبنا بِالمُلوكِ مُـــــصَفـــَّدينا

فهو يفآخر بنسبه بألفاظ ذات ديباجة متميزة, ليضفي على النص رونقاً خاصّاً إذ يقارن بين قومه وبني بكر، فهم رجعوا بعد معاركهم بالغنائم من أموال , وسبايا وغيرها أمّا قومه رجعوا بأسرى الملوك وكبارهم فقدّم حججه ليؤثر ويثير مشاعر المتلقي من حيث ربطه للحجج بواسطه الرابط الحِجاجي الواو وليصل إلى نتيجة مفادها إنّ قومه قادرون على البطش والقوة والسطوة ، وبعدها وصل إلى تقديم النتيجة والمتمثّلة بقوله: (لَنا الدنيا وَمَن أَمسى عَلَيها.. وَنَبطِشُ حينَ نَبطِشُ قادِرينا) وبهذا يصل إلى تحقيق البعد الحِجاجي لما حمله النصّ من طاقات ذات قوة فاعلة متمثّلة أولاً بالرابط (الواو) ومن ثُمّ باختياره الدقيق للألفاظ ليحقّق بها غايته التي يريد.

وكذلك نجد تجليات الرابط الحِجاجي في قول (ابن وهيب في المعتصم): (من البسيط)

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتهم شمسُ الضحى وأبو اسحق والقَمَرُ

يحكي أفاعيلَه في كلّ نائبةٍ الغيثُ والليثُ والصمصامةُ الذَكَـــرُ[2]

---

1 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء , 40.

2 - حماسة الظرفاء ,187، ويُنظر: ديوان المعاني, أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري مكتبة القدسي للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر- القاهرة ، د.ط ، 1352 :28/2 .

في هذا النصّ عمل الرابط الحِجاجي (الواو) على الربط بين الحِجج بالشكل الذي يدعم ويسند الأطر التي قدّمها الشاعر بوصفها حججاً تدعم النتيجة التي يريد أن يصل إليها ، إذ تتجلّى حِجاجية هذا الرابط بالوظيفة الدلالية المتمثّلة بقوله: (ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتهم ... شمسُ الضحى وأبو اسحق والقَمَرُ) ، إذ جعل الممدوح متوسطاً بين الشمس والقمر, فهو رصف عدد من الحِجج اجتمعت فيها صفات الكرم, والشجاعة والخلق القويم فوظف المدح وسيلة يستميل بها المتلقي إلى ضفته حتى وإنّه قد بالغ في وصف ممدوحه ليبيّن مكانته وحجته في ذلك إنّه أينما يحل أبو اسحاق تحل البهجة والسرور والضياء كما الشمس والقمر بهما تتجمّل السماء وتحل بهما البهجة وتجلو الظلمة ، فجعل الممدوح (الغيثُ والليثُ والصمصامةُ الذكَـــرُ) إذ ربط هذه الصفات بوساطة (الواو)، فنجد الشاعر قد اعتمد على رسم صورة ترسخ في ذهن الممدوح لتثير مشاعره فتحريك الصورة للمشاعر يعد أحد المنطلقات الأساسية للإقناع " فالجانب العاطفي أساساً في الحجاج " [1] ، لذا نجد أنّ الشاعر لجأ إليها ليحرّك الأذهان ولإثارة انتباه المتلقي إذ استحضر ألفاظاً تهوى لها القلوب وتدعن لها الأسماع لذا نجد أنّ الرابط الحِجاجي (الواو) أحدث فاعلية في بنية النصّ ليصل بها الشاعر إلى الهدف المنشود.

أمّا (بشار بن برد) فنجده وظّف الرابط الحِجاجي (الواو) ليحقّق به هدفه المنشود فيقول: (من الطويل).

إذا المَلِكُ الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَينا إلَيهِ بِالسُيوفِ نُعاتِبُه

وَأَرعَنَ يَغشى الشَمسَ لَونُ حَديدِهِ وَتَخلِسُ أَبصارَ الكُماةِ كَتائِبُه

تَغَصُّ بِهِ الأَرضُ الفَضاءُ إِذا غَدا تُزاحِمُ أَركانَ الجِبالِ مَناكِبُه

رَكِبنا لَهُ جَهراً بِكُلِّ مُثَقَّفٍ وَأَبيَضَ تَستَسقي الدِماءَ مَضارِبُه[2]

---

1 - مدخل إلى الحجاج ,محمد الولي ، مجلة الفكر ،ع \ 40 اكتوبر، 2011 : 17.

2 - الحماسة الشجرية ,215 ، ويُنظر : ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، صدر هذا الكتاب عن الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، د.ط ، 2007 :1/ 334 .

يتحدّث الشاعر في هذا النصّ بلسان الجماعة؛ ليُدلل على مدى أهمية الانتماء القبلي وبيّن بذلك فخره وعمق حبّه لقبيلته ، فأضفى عليهم أبهى وأجمل الصفات كالشجاعة والبأس والقوة والحزم وغيرها، حتى أنّهم تفرّدوا بالرّد على الملك الظالم الذي تهابه وتذعن له الجباه ، وهذا ما تمثّل بقوله :(إذا المَلِكُ الجَبّارُ صعَّرَ خَدَّهُ مَشـــينا إلَيهِ بِالسُيوفِ نُعاتِـــبُه) فالذي يتطاول على شعبه لابد أن يسير إليه شعبه بقوة وحزم إذ لا بدّ من الوقوف ضد الظلم والظالم ، فالشاعر في نصّه جمع عدداً من الحِجج وربطها بالرابط الحِجاجي الواو ليحقّق أبعاداً ذات قوة فاعلة لذا نجده يتدرج بطرحه للحِجج التي من شأنها أن تؤثر بالمتلقي لتشكّل بارقة يسعى بها لواقع جديد بعيداً عن التعسف ، فيقول: (وَأَرعَنَ يَغشى الشَمسَ لَونُ حَديـدِهِ - وَتَخلِسُ أَبصارَ الكُماةِ كَتائِـبُه.....) فهذه صفات يصف بها جيشها المنتصر وكثرة عتادهم وعددهم يغطي الشمس ولمعانه فيأخذ الأبصار ويغص لعددهم الفضاء لتتزاحم بها أركان الجبال مناكبه لكثرتهم ، حتى يصل إلى حِجّة أخرى متجلّية بقوله: (كَأَنَّ مُثارَ النَقعِ فَـــــــوقَ رؤوسهم وَأَسيـــــــــافَنا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُه) فيوظّف عنصر التشبيه في تصوير أرض المعركة والسيوف التي تتحرك بكلّ الاتجاهات بصورة جميلة وكأنّها كواكب لامعة تتهاوى في ظلام دامس، فكلّها حِجج وظّفها الشاعر ليستميل المتلقين ومن هنا تتضح حِجاجية الرابط (الواو) لجمعهِ بين الحِجج وتقويتها فأضفى عليه رونقاً لغرض تحقيق نتيجة ألحَّ عليها الشاعر في ثنيات النصّ ألا وهي عدم الاستسلام للظلم والخضوع للظالم ومن ثُمّ التأكيد على عنصر الجماعة فبهم تتجلّى القوة فقد أطلق العنان لاستمالة المتلقي والتأثير به ومن ثُمّ تغيير وجهته إلى الوجهة التي يريد.

رابعاً: الرابط الحِجاجي (الفاء)

من الروابط الحِجاجية المهمة ويُسمّى بالرابط (المدرج للنتائج) ويربط بين النتيجة والحجة من أجل أن يفسّر ويعلّل للمتلقي ما يريد إيصاله [1] ، إذاً هي من

---

1 - يُنظر: اللغة والحجاج : 112.

الروابط التي يوظّفها المتكلّم في خطابه الحِجاجي حتى يربط بين أحداث متتابعة ممّا يجعل الحدث متسلسلاً ومتجاوباً ومنسجماً فيسهل تقبّله من المتلقي, وأحياناً يعمد هذا الرابط إلى مستوى أعمق من العلاقات فيجعل بعض الأحداث أسباباً لأحداث أخرى[1]، و" العلاقة التي تقوم بها الفاء تعدّ من أبرز العلاقات الحِجاجية وأقدرها في توجيه سلوك المتلقي؛ لأنّها ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية التي يحرص فيها المحاجج على ربط الأحداث والأفكار ربطاً سببياً فيتولّد بذلك استدلال مباشر للمتلقي " [2] وبذلك يساهم هذا الرابط في تحقيق التفاعل التواصلي بين المتكلّم والمتلقي فيصبح النصّ أكثر فاعلية وهذا يعمل على تأكيد المعنى وتثبيته ومن ثُمّ استمالة المتلقي .

ومثال ذلك ما جاء في قول الشاعر (علي بن الجهم) : (من الخفيف) .

لا يَرُعكِ المَشيبُ يا اِبنَةَ عَبدِ الل هـ فَالشَّـــــــيبُ هَيـــبَةٌ وَوَقـارُ

إنَّما تَحسُنُ الرِيـــاضُ إذا مـــــا ضَحِكَت في خِـــــلالِها الأَنوارُ[3]

ففي البيت الأول عمل الرابط الحِجاجي (الفاء) بالربط ما بين الحجة والنتيجة وهذه التي يجنح إليها الشاعر، إذ جعل من انتشار الشيب في الشعر ما هو إلا هيبةً ووقاراً وخبرةً وعقلاً جليُّاً يتحلّى بها الرجل ، فقد شبّه هذا الانتشار البهي كأنّه مصابيح متوهجة ومنيرة تزيد من جمال الرياض فتبثُّ بها رونقاً وغضاضة ووضاءة , فعمل الرابط على الترتيب والتعليل فأدرج حجته: **(لا يَرُعكِ المَشيبُ يا اِبنَةَ عَبدِ الله)** ومن ثُمّ وظّف الرابط (الفاء) ليحقّق به نتيجة حتمية: **(فَالشَّـــــــيبُ هَيـــبَةٌ وَوَقـارُ)** فالشاعر احتجّ على من يعيّره بالشيب وكذلك وجّه كلامه الى كلّ

---

1 - يُنظر: استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية,عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة , ليبيا، ط1، 2004 : 480.

2 - التراكيب التعليلية في القرآن الكريم ، اطروحة دكتوراه: محمد حاتم الساعدي ، الجامعة المستنصرية ,كلية الآداب ,قسم اللغة العربية، 2014 : 119 .

3 - الحماسة الشجرية، القسم الثاني : 826 ، ويُنظر : ديوان علي بن الجهم, وزارة المعارف المكتبات المدرسية, المملكة العربية السعودية :139 .

من يشعر بالحسرة على اتّقاد هذه الشعلة في مفارق الرأس ، فالكلام يتلون بصبغة حِجاجية عمد الشاعر على بثّها؛ ليجعل المتلقي أكثر تقبلاً وأكثر رحابة بهذا الضيف اللطيف.

ومنه قول (الحسين بن أسد العامري) :(من الكامل)

يا مُمرضي ب جفونِ عينكَ داوِني بعقيقتينِ علَى سِماطِ ثُغورِ

إن لم تَزُرْني اليومَ مُتّ بغُصّتي فاحضُرْ غداً لجنازة المقبورِ[1]

قدّم الشاعر في هذا النصّ لوحةً زاخرةً بالحبِّ والأشواق والأحاسيس الصادقة ليضع المتلقي أمام حجج معبرة عن حالته وما يعانيه, إذ نجد أنّ الرابط الحِجاجي (الفاء) أسهم في تعزيز هذه الحِجج ومدى فاعليتها في إقناع المتلقي فيسعى للتوافق بين الحِجج والنتائج التي يريدها الشاعر فقوله :(**يا مُمرضي ب جفونِ عينكَ داوِني - بعقيقتين علَى سِماطِ ثُغورِ)** فجعل من رؤية المحبوبة دواءً لكلّ علّة والشاعر هنا بصدد إلقاء الحِجج محاولة منه لكسب ودّ من يحب وهذا ما تمثّل بجملة الشرط: (**إن لم تَزُرْني اليومَ مُتّ بغُصّتي)** ومن ثُمّ وظّف هذا الرابط مقترناً بجواب الشرط والمتمثّل بقوله : (**فاحضُرْ غداً لجنازة المقبورِ)** ليحتج بها على هجر المحبوبة وجفائها موظّفاً (الفاء) والتي لها القدرة على إسناد وتقوية الكلام ومن ثُمّ لربط الأفكار, وهذا يجعل الحدث أكثر ترابطاً وانسجاماً ليصل إلى نتيجة مقبولة متمثّلة بالوصل والقرب فحضور المحبوبة هو نجاة له وامتناعها تعاسة ثُمّ موت وهنا تكمن النتيجة التي منها يحصل التأثير والإقناع .

ومن أمثلة توظيف هذا الرابط قول الشاعر (أبي تمام) عندما رثى (محمد بن حميد الطوسي) قائد جيش المأمون فيقول :(من الطويل)

فتى كلما ارتاد الشجاع من الرّدى مفرا غداة المأزق ارتاد مصرعا

فإن ترم عن عمر تدانى به المدى فخانك حتى لم يجد فيه منزعا

فما كنت إلاّ السيف لاقى ضريبة فقـــــــطعها ثُمّ انثنى فتقطعا [2]

---

1 - حماسة الظرفاء:2/ 93 .

2 - الحماسة :2/ 859 .ويُنظر: ديوان أبي تمام:335.

تشمل هذه الأبيات على مجموعة من الحِجج وظّفها الشاعر؛ ليعزّز من قيمة ومكانة المرثي ،فتوجّه بعاطفة تلتهب بنيران الفراق ولوعة الفقد والتحسّر على فتى يتصف بالشجاعة والإقدام فكان خير مثالٍ لمن يدافع عن الخلافة: (**فتى كلما ارتاد الشجاع من الرّدى- مفرا غداة المأزق ارتاد مصرعا**) فهو لا يشبه الشجعان بشجاعته وعنفوانه ،وبذلك أحسن في إنتقاء الألفاظ الدالة ليدعم النصّ بطاقةٍ حِجاجية تحث المتلقي على الإصغاء والإمعان بما يدلى إليه ففي قوله: (**فإن ترم عن عمر تدانى به المدى- فخانك حتى لم يجد فيه منزعا) كذلك قوله:(فما كنت إلاّ السيف لاقى ضريبة- فقـــــــطعها ثُمّ انثنى فتقطعا**) فالربط بين هذه الحِجج ليكشف للمتلقي بسالة وعزيمة وشهادة الفتى وليعبر عن مشاعره بقصد التأثير ولفت الانتباه وفق رؤية شعرية تظهر مدى الألم بسبب فراق وفقدان من يحب أولاً وأن يحثُّ كلّ فتى ليحذو وليسلك مسلك محمد بن حميد نفسه.

ومنهُ قول (حسان بن ثابت) : (من الخفيف)

كَرِهوا المَوتَ فَاِستَبيحَ حِماهُم وَأَقاموا فِـــــــعلَ اللَئيمِ الذَليلِ

أَمِنَ الــمَوتِ تَهرُبونَ فَإِنَّ ال مَوتَ مَوتَ الهُزالِ غَيرُ جَميلِ[1]

كشف النصّ عن (أنا الشاعر) المتأزمة إزاء كلّ من يفر هارباً حذرَ الموت ويترك الحِمى تستباح فيقول: (**كَرِهوا المَوتَ فَاِستَبيحَ حِماهُم) ومن ثُمّ وصفهم بـ (اللَئيمِ الذَليلِ)** ، فبنية النصّ الشعري منسجمة المفاصل متسقة الأجزاء، إذ وظّف الشاعر الرابط الحِجاجي (الفاء) والذي جاء ملاصقاً للفظة (**اِستَبيحَ**) ليوجّه المتلقي إلى نتيجة متحقّقة والتي تتأتى من كره الموت والقتال والدفاع عن العقيدة ومن ثُمّ يعمل هذا التهاون إلى استباحة الأرض وانتهاكها ، فحقّق هذا الرابط تواصلاً بين الحجة والنتيجة بشكل تراتبي وهذا يرجع إلى رؤية الشاعر الإبداعية ليصل صوته إلى المتلقي ومن ثُمّ تعزيز الفكرة التي طرحها والتي تتمثّل بإقناع المتلقي بالقتال والحفاظ على الحرمات فنجد الشاعر انتقل في البيت الثاني إلى تقديم سؤال تعجبي

1 - حماسة أبي عبادة البحتري : 81 ، ويُنظر: ديوان حسان بن ثابت :250 .

إنكاري والذي يتجلّى بقوله :(**أَمِنَ الـــمَوتِ تَهرُبونَ**) ليمثّل مدى الألم والحزن والحسرة التي تكمن في ذاته فوظّف هذا الرابط مرةً أخرى؛ ليعمل على تحقيق التفاعل بين الأطراف المتحاجة والتي تتمثّل بالشاعر ومتلقيه فزاد من قوة القول فيقول: (**فَإِنَّ ال مَوتَ مَوتَ الهُزالِ غَيرُ جَميلِ**) ، فيعرض حقيقة الموت التي لا مفرّ منها ومن ثُمّ يجنح إلى نتيجة مُجدية فأمّا الموت بعزة وكرامة وشرف أو موت يتصف بالذل والهوان والضعف وهذا ما قصد به موت الهزال غير جميل .

تبيّن ممّا سبق أنّ إدراج الروابط الحِجاجية في النصوص الشعرية ما هو إلّا لترسيخ الحِجج في أذهان المتلقين ومن ثُمّ تزيد من إحداث التأثير لتهيئة المتلقي بتغيير وجهته إلى الوجهة التي يريدها الشاعر فعملت هذه الروابط على تكثيف الحِجج وتقوية طاقاتها .

يستغل بذلك كلّ الامكانات اللغوية التي تزيد من طاقة الحجاج ومن ثُمّ تزيد من إحداث التأثير بالمتلقي لتغيير وجهته إلى الوجهة التي يريدها المتكلّم فعملت هذه الروابط على تكثيف الحِجج وتقوية طاقاتها والتي تتأتى من حيث ربط الحِجج بالنتائج .

المـــبحث الـــثاني

الســـــلالـــــم الحِجاجية

مدخل تنظيري:

تعدُّ السلالم الحِجاجية من المتطلبات المهمة التي يرتكز عليها النصّ الشعري، لذا عدّ من الوسائل التي يوظفها الشاعر لتوجيه السامع إلى الوجهة التي يريد ومن ثُمّ إقناعه بهذا التوجيه وهنا تظهر فاعلية السلالم الحِجاجية.

فهذه النظرية جاءت لتطرح تصوّراً يوضح فيها إليه الترتيب وتناسق الحِجج في النصّ وقد أشار (ديكرو)إلى أنّ الحِجج تتسلسل بحسب الاختيار وهذا مؤسس على درجتي القوة والتأثير وليس على الصدق والكذب [1]، فالحِجج ليست مطلقة ولا تتساوى بل تتدرج في القوة والضعف وبحسب الموقف [2] .

وبذلك قدّم (ديكرو و انسكومبر) تصوّراً لعلم الحِجاج على أساس التوافق والتلازم بين الحِجج المطروحة والنتائج مع ملاحظة درجة التفاوت في قوة تلك الحِجج ومدى خدمتها للنتائج, ومن هنا ينشأ ترتيب الحِجج على وفق فاعليتها وقوتها فينطلق من الأضعف حتى يصل للأقوى بعلاقة تراتبية [3] فمفهوم السُلّم الحِجاجي يرتبط بقوة الحِجة ومدى ضعفها وكيفية ارتباط هذه الحِجج بالنتائج؛ لتحقق هدفها. ومن هنا يمكننا القول إنّه لا بدّ من وضع أسس يستند عليها المتكلّم من حيث التراتبية التي تلازم القول لتكون هذه الحِجج عاملاً أساسياً من شأنها أن تؤثر في المتلقي.

إذاً فالسُلّم هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية بالشرطين الآتيين[4] :

الأول : كلّ قول يقع في مرتبة ما من السُلّم يلتزم عنه ما يقع تحته بحيث أنّ القول الموجود في الطرف الأعلى يلزم جميع الأقوال التي دونه

الثاني : كلّ قول في السُلّم دليلٌ على مدلول معين كأنّما يعلوه مرتبة دليل أقوى عليه والعكس غير صحيح.

ويمكن أن نذكر أنّ الاتجاه الحِجاجي يكون تصاعدياً أو تنازلياً أو حتى متراكماً بحسب الوجهة الحِجاجية التي تتطلب من المتكلّم أن يدلي بها ؛لأنّ عملية التأثير

---

1 - يُنظر:الاستدلال البلاغي ، شكري المبخوت، دار الكتاب الجديدة المتحدة للنشر والتوزيع بيروت, لبنان ،ط1 ,2001 :194.

2 - يُنظر: بلاغة الاقناع في المناظرة ، عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف للنشر والتوزيع د.ط ، د.ت:12.

3 - يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية: 499 .

4 - اللسان والميزان او التكوثر العقلي : طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ،ط1، 1998 :277- 278.

والإقناع ترتكز على سلالم حجاجية تختلف وتتفاوت بدرجتها تبعاً لورود الحِجج وعرضها في النصّ بما يحقق التأثير بالمتلقي, وهذا ما سنجنح إليهِ ونبيّنهُ في الصفحات القادمة.

إذاً للسلّم الحِجاجي صورٌ حجاجيةٌ يحتكم إليها وجاءت في ثلاثة أشكال وفق رؤية ديكرو لها وهي:

أولاً: الحِجاج التصاعدي : في هذا النمط تتخذ الحِجج مساراً تصاعدياً إذ يبدأ المتكلّم بإيراد الحجة الضعيفة ثُمّ الحجة القوية حتى يصل إلى الحجة الأقوى ليتمكّن بذلك من إقناع المتلقي بما يدلى إليه وتتخذ الحِجج وضعاً خاصاً يمكن أن يصنف على أنّه نوع من المؤكدات في الخطاب ؛لأنّ المُحاجِج حين يستعمل هذا النوع من الحِجاج فإنّه يسعى إلى ترسيخ دلالة كلّ حجة يدلي بها؛ لتلقى قبولاً في ذهن المتلقي . [1], فبنية النصّ الحِجاجي تشكّل تأثيراً في فكر المتلقي وتكشف عن مديات واسعة تتضمّن دلالات حجاجية وهذه " لا تنحصر في الألفاظ معجماً وصيغاً فحسب بل تتعدى ذلك إلى التراكيب إذ من شأن التركيب الجيد الملائم للمعنى أن يستميل المتلقي ويفعل فيه أو يساعد الحجة على الفعل فيه فيكون رافداً مهماً لها ولا غرابة في ذلك فالعلاقة الحِجاجية لا تبنى إلّا في التركيب والألفاظ ولا يكتمل شرفها ولا يتأكد فعلها في النفوس ألاّ متى انتظمت في تراكيب تناسب مقاصد الشاعر وتجانس نتائج القول وغايته " [2] ، وهذه يوظّفها الشاعر المجيد ليسهم في إنتاج نصّ ذي طاقة حجاجية .

من النصّوص التي وظّف فيها السلالم التصاعدي نصٌ للشاعر (إسماعيل بن القاسم أبي العتاهية) يقول : (من الوافر).

أَما وَاللهِ إنَّ الظُـــلمَ لـــــومُ وَما زالَ المُسيءُ هُوَ الظـــــــلـومُ

1- يُنظر : الحِجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري نموذجاً, عبد العالي قادا ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،عمان, الأردن،2015 .371

2 - الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه: 108 . 109

تَنــامُ وَلَــم تَــنَم عَــــنكَ المَنايــا تَنَبَّــه لِـــــــلمَنِيَّـــــةِ يــا نَـــــــــؤومُ

تَرومُ الخُلدَ في دارِ المَنايا كـــــَم قَـــــــــد رامَ غَيرُكَ ما تَرومُ

سَلِ الأَيّامَ عَن أُمَمٍ تَقَضَّت سَتُـــــخبِرُكَ المَــعـــــــالِمُ وَالرُســـومُ

إلى دَيّانِ يَومِ الدينِ نَمضي وَعِنـــــدَ اللهِ تَجـــــــتَمِعُ الخُصومُ[1]

اعتمد الشاعر على توظيف حِجج تستهوي عاطفة المتلقي فجاءت الألفاظ متناغمةً تثير المسامع ، فقدّم نصّه بحكمة واعية يريد بها التوجيه والإرشاد وايصال رسالة إلى كلّ ظالم أنّ لا دوام للخلود وكلّ شيء إلى زوال ، ويريد بهذا أن ينبّه المتلقي فاعتمد على السُلّم التصاعدي إذ أدرج حججه كالآتي:

ن (التركيز على منع الظلم والاستبداد فبهن يوجب غضب الله سبحانه وتعالى وعاقبة الظلم وخيمة ولكل ظالم نهاية لا مفر منها)

5ح إلى دَيّانِ يَومِ الدينِ نَمضي - وَعِندَ اللهِ تَجـــــــتَمِعُ الخُصومُ

4ح سَلِ الأَيّامَ عَن أُمَمٍ تَقَضَّت- سَتُـــــخبِرُكَ المَــعالِمُ وَالرُســـومُ

3ح تَرومُ الخُلدَ في دارِ المَنايا - وَكـــــَم قَد رامَ غَيرُكَ ما تَرومُ

2ح تَنــامُ وَلَــم تَــنَم عَــــنكَ المَنايــا - تَنَبَّــه لِـــــــلمَنِيَّـــــةِ يــا نَـــــــــؤومُ

1ح أَما وَاللهِ إِنَّ الظُـــــلمَ لـــــــومُ - وَما زالَ المُسيءُ هُوَ الظَـــلومُ

فالحِجج رُصِفت بمقصدية لتكشف عن نهاية الظالم فتجمعت لتتوجه نحو نتيجة واحدة إذ اتسمت بالمركزية المتمثلة بقوله: (إلى دَيّانِ يَومِ الدينِ نَمضي...) و التي اتخذت قمة السُلّم مكاناً لها فأراد الشاعر لها هذا؛ لتستحوذ على فكر المتلقي فيتولّد لديه قبولٌ واستجابة واذعان للأطروحات المقدّمة له .

ومنه قول شاعر آخر: (من الوافر)

---

1 -الحماسة: 1674، ويُنظر: ديوان أبي العتاهية ، تح: شكري فيصل ، دار الملاح للنشر والتوزيع ، دمشق - سوريا ، د.ط ، 1965 : 354 - 355 .

ألا لله ما صنعت بـــــــــــرأســـي صروف الدهر والحقـب الخوالي

فيوماً في السجون مع الأسارى ويومـــــــا في القصور رخي بال

ويوما للسيوف تعاورتنـــــــــــي ويـــــــــــــوما للتـــفنق والـــــدلال

كذا عيش الفتى ما دام حـــــيا دوائر لا تـــــــدوم علـــــــــى مثال

سأصبر للشدائد والرزايـــــــــا واعـــــلم أنـــــــــها محن الرجال[1]

لنتأمل نصاً جديداً وظّفه الشاعر يتجلّى به السلالم الحِجاجي المتصاعد بوضوح فالشاعر يحتج لصبره على المحن والشدائد تأكيداً منه على سمة الصبر, ومدى أهميتها في صرف الدهر وحقبه ونوائبه فذكر حججاً متعاضدة تشكّل وحدةً معنوية تتوافق مع حاجة الشاعر التي تكمن في ذاته فقدّم حججه وفق سلم تصاعدي تتجلّى من أضعف الحِجج حتى يصل إلى أقواها وأكثرها استحكاماً للنتيجة المراد ليحقق ما يطمح اليه وهذا يتمثّل في الآتي :

ن (فالصبر على الرزايا والشدائد مقرون بمعادن الرجال بالمحن فبالمحن يولد الرجال فلابدّ من التحلّي به ليتجاوز الإنسان بجنسيه البلاء والضيق والعسر فبه تفتح المغاليق وتنجلي الظلماء)

5ح سأصبر للشـــــــــــدائد والرزايـــــــــــا - واعـــــــلم أنـــّـــــــها محن الرجال

4ح كذا عيش الفتى ما دام حـــــيـــــــــــا- دوائر لا تـــــــدوم علـــــــــى مثال

3ح ويـــــــــــوما للسيـــــــــــــــــــوف تعاورتنـــــــي - ويـــــــــــــوما للتـــفنق والـــــدلال

2ح فيوماً في السجون مع الأسارى- ويومـــــــــا في القصور رخي بال

1 -حماسة الظرفاء :45/1 ويُنظر معجم الشعراء في معجم البلدان, ياقوت بن عبد الله الحموي، تح: كامل سلمان الجبوري ، مكتبة لبنان للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط 2002 : 489 .

1ح ألا لله ما صنعت بـــــــــــرأســـي – صـــــروف الدهر والحقـب الخوالي

فكلّ هذه الحِجج تدعم وتخدم النتيجة ذاتها لذلك نجد أنّ الشاعر عمد إلى توظيف السُلّم التصاعدي ؛ لكي تكون مقدمة السُلّم قريبة من النتيجة وبهذا يستقبل المتلقي ما يلقى عليه بيسر " فالعلاقة وثيقة بين مفهوم السُلّم ومفهوم القوة الحِجاجية، فالقول الذي يقع في أعلى درجات السُلّم هو الدليل الأقوى" [1] ، إذ ما يقترحه لا يعدو أن يكون مفهوماً لغاية معينة ليؤسس بها قاعدة متينه لحجاج مقبول لذا فقد جعل الصبر وسيلةً ناجعة يعبر بها الانسان مراحل حياته العسرة والشاقة ، إذ اجتلب حججاً من واقعه المعاش بيّن فيها ترنح الإنسان ما بين الدلال والقسوة, واختلاف أحوال الدهر ومصائبه وبهذا هو يدعو إلى الاحتجاج بوجوب الصبر والتحلّي به .

نستنتج من النصّوص السابقة أنّ شعراء الحماسة يقصدون ترتيب الحِجج وفق آلية معينة ينتج منها الوصول إلى مناطق المتلقي وعوالمه ، ليبثُّ دعوته ويثبت حججه بتسلسلات حجاجية وبأشكال السُلّم الثلاثة التصاعدي والتنازلي والمتراكم وهذه تسير عبر مسار متدرّج ، فينتج بذلك نوع من التواصل والتفاعل بين المتلقي والنصّ فيكون السُلّم الداعم الأول للحجج بما يحمله من ترابط وانسجام بين فقراته وهنا تكمن قوة الحِجاج ونجاحه .

ثانياً: الحِجاج التنازلي: وفي هذا الشكل من الحِجاج تندرج الحِجج من الأقوى إلى الأضعف تترتب فيه تنازلياً, وهذا النوع من الحِجاج يُوجه بشكل خاص إلى المتلقي الشاك او الجاحد الذي لا تنفع معه الحِجج الضعيفة في بداية الخطاب والحِجاج طبقاً لهذا القانون فهو يمثل استراتيجية خطابية فالمتلقي إذا أذعن للحجة الأقوى أصبح من اليسير أن يسلّم للحجة الأقل [2] ، وفي هذا النوع تظهر براعة الشاعر من أجل أن يقنع المتلقي فيتدرج بإلقاء الحِجج تنازلياً بدءاً من الحجة الأقوى ثُمّ الأقل ثُمّ الأقل منها حتى يصل إلى النتيجة التي يريدها.

---

[1] - الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه: 256.

[2] - يُنظر :الحِجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري نموذجاً :373.

فقـــال الحســـين بـــن علـــي (عليهمـــا الســـلام):(مـــن الطويـــل)

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقا وجاهد مسلمـا

وواسى الرجال الصالحين بنفســـــــه وفـــارق مـــثبورا وجانب مجرما

فإن عشت لم أرغم وإن متُّ لـــم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما[1]

يشير (الإمام الحسين) عليه السلام في هذه الأبيات إلى قضية مهمة ألا وهي الدفاع عن العقيدة وإحقاق الحقّ ومحاربة الظلم والظالمين ، فحمل النصُّ دلالات مكثّفة متشّحة بسياق حجاجي وظّفه الإمام عليه السلام من اعتماده على عنصر الإشارة والذي نعني به " اللفظ القليل مشاراً به إلى معاني كثيرة بإيماء ولمحه تدلّ عليها " [2] ، موظفاً سين الاستقبال والتي تدل على الحركة والاستمرار في المضي إذ قدّم الحِجج التي تنسجم و تتلاءم مع الجو العام للمتلقي فيدلي بأقوى الحِجج وأكثرها تأثيراً التي تمثّلت بالمضي بالموت من أجل إحقاق الحقّ حتى يصل إلى آخر درجة بالسُلّم التنازلي والتي تتجلّى بمحاربة الذلّ فالإمام احتج على بقاء الحياة مع الظالمين والصمت أمام المخادعين الذين يخدعون الله ورسوله حتى ينتهي إلى النتيجة المرادة, إذ رصف حججه وقدّمها للمتلقي بسلم تنازلي متمثلاً بما يلي :

ن ـــــــ (النتيجة التي أراد أن يصل إليها الإمام عليه السلام تتجلّى بالتضحيات في سبيل العقيدة فالموت حقّ وليس بعار إنما العار يكمن في التخلي عن المبادئ والصمت على الظلم والرضوخ والانحناء والاستسلام للطغاة والظالمين لذا أكدّ على التحرّر من الذلِّ والعبودية, فهي ضرورة من ضروريات الحياة الكريمة فالحسين عليه السلام لا يخشى الموت فالحياة بالذل هي الموت)

1ح ـــــــ سأمضي وما بالموت عار على الفتى

2ح ـــــــ إذا ما نـــــــوى حقا وجـــــــــــاهد مسـلمـا

1 - حماسة الظرفاء، :66/2 ، ويُنظر : موسوعة آل بيت النبي صلى الله عليه و آله وسلم مهدي محمد سرور وسميرة جميل ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع لبنان - بيروت ، د.ط 2010: 258/2 .

2 - المصطلحات البلاغية والنقدية عند أبي هلال العسكري, شامل عبيد درع, دار دجلة للنشر والتوزيع د.ط، 2015 : 116.

3ح ـــــ وواسى الرجال الصالـــحين بنفســـــــــــه

4ح ـــــ وفـــــارق مجرما وفـــــارق مـــثبورا وجانب

5ح ـــــ فإن عشت لم أرغم وإن متُّ لـــــــم ألـــم

6ح ـــــ كفى بـــــك ذلاً أن تـــــــــــــعيش وترغـما

فنجد أنّ النصّ الشعري تضمّن أفكاراً حقيقية وواسعة ومكثّفة وظّفها بمقصدية؛ لكـي تكـون حجـة واقعيـة ذات فاعليـة مدعمـة بطاقـات حجاجيـة يـذعن لهـا المتلقـي وتستميل مشاعره و تهز عواطفه وتحثّـه على المطالبة بحقّه ونيل عزتـه وكرامتـه بعيداً عن الاستكانة والاستهانة والاضطهاد وإلاساءة والاستبداد .

وهذا ماجعل للمتكلم وسيلة تعينـه في حِججه وتدعمها وتصبح حِججاً قوية ومقبولـة ومؤثره في ذهن المتلقي من شأنها إحداث تغيير في وجهة نظره ومن ثُمّ يستجيب لما يلقى عليه من قبل المتكلّم .

ثالثاً: الحِجاج المتراكم : يسمى الحِجاج طبقاً لهذا النمط حجاجاً تراكمياً, وهذا النوع تتعدد فيه الحِجج وتتراكم بدون مراعاة لمبدأ التدرج سواء تنازلياً أو تصاعدياً وإنما تصبح كلّ حجة بحسب هذا النمط من الحِجاج ذو قوة فاعلة في اللحظة التي تستعمل فيها ويكون بذلك أكثر تلقائية وعفوية من النوعين السابقين

وهذا النوع من الحِجاج نجده بكثرة عند شعراء الحماسات، بما يتضمّنه من حرية في تضمين الحِجج التي يدلي بها الشاعر؛ من أجل أن يؤثر في متلقيه أو يغير وجهته أو يستميله إلى الضفة التي يريد.

وفي هذا الصدد نجد قول (أبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري) : (من الكامل)

خِلافَةُ جَعفَرَ أَمـــــــنٌ وفضل ... وَعدل لَم يـــــزَل يَسَعُ الأَنَاما

غَريبُ المَكرُماتِ تَرى لَدَيـــهِ ... رِقابَ المـــالِ تُهتَضَمُ اِهتِضـــاما

إذا وَهَبَ البُدورَ رَأَيتَ وَجـــهاً ... تَخالُ بِخُـــــسنِهِ البَدرَ التَـــماما

غَنِيٌّ أَن يُفآخر أَو يُسامـــي ... جَليلٌ أَن يُـــفآخـــر أَو يُســـامى

غَمَـــرتَ النـــاسَ إفضـــالاً وَفَضـــلاً ... وَإنـــعاماً مُبـــــــــــرّاً وَاِنتِـــــقامـــا

....

وَلَو جُمِعَ الأَئِمّـــةُ في مكانٍ تَـــــــكونُ بِهِ لَكُـــنتَ لَهُم إماما[1]

لا شكّ أنّ هذا النصّ مدحي بالدرجة الأولى ,فالشاعر يحتج لكرم الممدوح وقوته ونبله الممدوح فاردفه بصفات جعلته متفرداً بين الائمة موظفاً بذلك حججاً متراكمة منتقياً أجمل الألفاظ ليصل إلى غايه الحِجاجية والتي من شأنها التأثير في المتلقي، إذ بالغ في مدح الخليفة فيرى خلافته عدلاً وأمناً لذلك أنّ الشاعر جعل منه أفضل الناس ثُمّ يمضي ليضمّن بذلك نجاح التواصل ما بينه وبين المتلقي ليحقّق الخطاب الحِجاجي غايته وليذعن المتلقي له فأدرج حِججه بشكل متراكم كما ذكرنا أصبحت كُلّ حِجة مكملة لذاتها لا تحتاج إلى إسناد فبها الشاعر يستطيع أن يصل إلى مناطق المتلقي فرصفها بالشكل الآتي :

ن ⟸ (المدح لغرض التقرب من الممدوح وتحقيق المقبولية والتكسب)

6ح ⟸ عَدلٌ وَأَمـــــنٌ وَحِـــلمٌ

5ح ⟸ غَريبُ المَكرُماتِ ــ رِقابَ المالِ تُهتَضَمُ اِهتِضاما

4ح ⟸ تَخالُ بِحُـــسنِهِ البَدرَ التَماما

3ح ⟸ غَنِيٌّ ــ جَليلٌ

2ح ⟸ غَمَرتَ الناسَ إفضالاً وَفَضلاً وَإنعاماً

1ح ⟸ لَو جُمِعَ الأَئِمّـــةُ في مَقامٍ ــ تَكونُ بِهِ لَكُـــنتَ لَهُم إماما

ذاً الحِجج في هذا النصّ تتخذ مساراً متراكماً راعى فيها المكان والزمان الخا ة بالمتلقي فكل بيت في النصّ هو حجة تتسم بجمالية من حيث الانسجام والترابط بين المفردات إذ لها أثر فعّالٌ في عملية الإقناع اتّسمت بطاقة حجاجية عالية ,وهذا ما عمد إليه الشاعر.

ومن ذلك قول (عمرو بن الاطناب الخزرجي): (من الكامل)

1 - الحماسة :1/ 400-401 .

إنّـــي مـــن القـــوم الـــذين إذا انتـــدوا بـــدؤوا بحـــق الله ثُـــمّ النائـــل
المـــانعين مـــن الخنـــا، جاراتـــــــــهم والحاشـــدين علـــى طعـــام النـــازل
والعاطفين على المضاف خيولهم والملحقين سيوفـــــهم بالنابل
....
والخـــــالطين غنـــــيهم بـــفـــــقيرهم والبـــــاذلين حطـــــامهم للســـــائل
والضاربين الكبش يبرق بيضـــــــه ضرب المهجهج عن حياض الناهل
والقـــائلين، فـــلا يعـــاب خطيبهـــم يـــوم القيامـــة بـــالكلام الفاصـــل
والقـاتلين لـدى الـوغى أفراسهـــــم إن المـــــــنـــية مـــــن وراء الوائـــــل
خزر عيونهم إلى أعدائـــــــــهم يمشون مشي الأسـد تحت الوابل [1]

يركّز هذا النصّ مثل اغلب النصّوص القائمة على الفخر إلى لفت انتباه المتلقي من حيث التركيز على إغداق الصفات النبيلة والفضائل الحسنة على قومه ليضطلع نصّه بدورٍ حِجاجي يؤسس منه عملية الدخول إلى جو المتلقي واستمالته " فمؤسس الخِطاب الحِجاجي أيّاً كان هذا الخطاب يعي عادة الفضاء الذي يتحرك به خطابه ويعرف ضرورة الرموز المعبّرة عن انتماء متلقيه الثقافي والاجتماعي فهو يوظفها بطريقة ذكية تكمن بالاقناع والحمل على الإذعان " [2] .

فالشاعر يريد بهذا النصّ أنّ يصل للمتلقي مدى قوة وشجاعة قبيلته فهو يتفآخر بهذا الانتماء فيقول (إني من القوم الذين إذا انتدوا - بدؤوا بحق الله ثُمّ النائل) وهذه حِجة بيّنة المعالم إذ اوضح للمتلقي أن هذه القبيلة تخرج الحقّ الواجب لله من أموالهم ومن ثُمّ للنائل فيبدأ الشاعر بالتدرّج في وضع الحِجج وفق سلّم تراكمي مُحتجاً لفخره بالقبيلة على النحو الآتي:

1- الحماسة الشجرية: القسم الاول:213-214.
2 - الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه: 237.

ن ـــــ (الفخر القبلي وذكر المناقض والأمجاد والإشادة بفضلها وتحقيق الانتصارات في معاركها وبيان مدى شجاعة ابنائها وهم متوعدين لأعدائهم كالأسد تحت المطر القوي الشديد).

6ح ـــــ بدؤوا بحق الله ثُمّ النائل...

5ح ـــــ المانعين ... - والحاشدين

4ح ـــــ العاطفين ... - والملحقين

3ح ـــــ الخالطين ... – والباذلين

2ح ـــــ القائلين، فلا يعاب كلامهم

2ح ـــــ الضاربين... - والقاتلين

1ح ـــــ خزر عيونهم إلى أعدائهم - يمشون مشي الأســـــد تحت الوابل .

إذ بدا لنا ماهية السُلّم المتراكم الذي يريد به الشاعر لفت انتباه المتلقي إلى هذه القبيلة وفضائلها موظفاً أقوالاً ذا طاقة حِجاجية تتّسم بالقوة فكلّ قول هو حِجة لازمة يصل بها إلى نتيجة وغاية معينة، فالنصّ يكمن به حِجاج عميق متشكّل وفق أطر أساسية تقتحم عالم المتلقي وتؤثر فيه.

ومنه قول (مجنون بني عامر): (من الطويل)

أُصلِّي فما أدري إذا مـــا ذكرتُها أثنتينِ صلَّيتُ الضُّحَى أمْ ثُمّانِـــــيـــا

خليلـيَّ إن بـانُوا بليـــــلَى فَقَـــــربَا لـيَ الـنَّعشَ والأكفـانَ واستغـــفرا لِيـــــَا

خليلـيَّ إلاَّ تبكِيَـا لـيَ أســـــــــــتعِنْ خلـيلاً إذا أفنيـتُ دمعـي بـــــكَى لِـــــــيَـا

فلـو أنَّنـي أشـكو الَّـذي قـدْ أصـابَني إلـى مَيـــــتٍ فـــــي قبـرِهِ لبكَـى لِيَـــــا

ولو أنَّني أشكو الَّذي قد أصابَني إلى جَبَلٍ صعبِ الذُّرَى لانْحَنَى لِيَـــــــا

ولـو أنَّنـي أشـكو الَّـذي قـد أصـابَني إلـى مُقعَدٍ فـي بـــــيتِهِ لعـــــــدَا لِيَـــــا

وإنّـي لأسْتَغْشـي ومـا بـي نَـــــعسَةٌ لعـلَّ خَيَـالاً منـــــــــكِ يَلقَـى خَيالِيَـــــا[1]

الذي يهمُنا في هذا النصّ هو احتجاج الشاعر لحبّه وشوقه ولهفته للمحبوبة ومعرفة مدى قابليته وفطنته بتضمينه لطاقات حِجاجية تخللت لغة النصّ وطوّعتها وجعلتها مواكبة للجوّ العام للقصيدة ، فالسياق - كما نرى- هو سياق عتاب محبّ لحبيب ظالم قاسٍ ، فالنصّ تشوبه الشكوى والانكسار والعتاب، فعمد الشاعر إلى تكرار لفظة (أشكو) دليل على العذاب والتحسّر والوجع الذي لا ينتهي .

فرصف حِججه بأحكام دقيق مترابط الأجزاء فكلّ جزء يمّثل حجة قابلة للإقناع والتأثير بالمقابل فيبدأ بذكر كلّ الذين تعاطفوا معه ومنهم :(الميت والجبل والمقعد) فنجده يبثّ شكواه وحزنه علّ قلب المحبوبة يرق ويلين ، وهذا يفضي إلى براعة الشاعر وفطنته في توظيف الألفاظ وتقديم الحِجج على الوجهة التي يريد فراكمها بمقصدية تامة حتى يصل إلى هدفه فقدمها على نحو الآتي:

ن (فالنتيجة التي رام الشاعر الوصول إليها هي محاولة الإقناع والقبول بالوصال والودّ والقرب واللين فهو يدعو إلى الاحتجاج للبعد والسلوى والاحتجاج للكمد والوجد حتى انه يروم وصالها بطيف قد يمرّ به).

7ح أُصلِّي فما أدري إذا مـــا ذكرتُها- أثنتينِ صلَّيتُ الضُّحَى أمْ ثُمّانِيـــا

6ح فَقَـــــــــربَا ليَ النَّعشَ والأكفانَ واستغفرا لِيـَا

5ح خليلاً إذا أفنيتُ دمعي بـــــكَى لِيَا

4ح أشكو الَّذي قدْ أصابَني إلى مَيـــــــــــتٍ فـــــــي قبرِهِ لبكَى لِيـــَا

3ح أشكو الَّذي قد أصابَني إلى جَبَلٍ صعبِ الذُّرَى لانْحَنَى لِيَا

2ح أشكو الَّذي قد أصابَني إلى مُقعَدٍ في بـــــيتـــــهِ لعـــــــــدَا لِيَـــــا

1 - حماسة الظرفاء :115/2، لم أعثر على النصّ كاملاً في الديوان : ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى ، تح: أبي بكر الوالبي ، تعليق :يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت , لبنان : 1420.

1ح ـــــــ وإنّي لأسْتَغْشي وما بي نَــعسَةٌ لعلَّ خَيَالاً منــكِ يَلقَى خَيالِيَــا

وعلى هذا النحو نجد أنّ الشاعر أثبت حبّه وشوقه من حيث دعمه للنصّ بطاقات حجاجية إقناعية قائمة على عنصر التفاعل بين المتلقي والنصّ, وهو بذلك راكم حِججه بالشكل الذي يثير عاطفة المحبوبة فتذعن له وتتفاعل بما جاء به دون قيد أو شرط .

لذلك نجد أنّ (ديكرو) ركّز على نظرية التوجيه الحِجاجي في السُلّمي والتراتبية وترتيب الملفوظ الحِجاجي عبر مراحل يخضع لها تقوية العامل لمدة وطاقته الحِجاجي [1] .

إذاً الشاعر في هذه الأبيات احتجّ لظلم المحبوبة وجفائها فخاطبها بعبارات تستهوي النفوس وتثير المشاعر لعلّها تبدل الجفاء بالوصل .

فهو سعى إلى الجذب والإثارة لقبول الحِجج المقدمة فأدرج كلّ حجة مدعمة بطاقة إقناعية لتعمل على توضيح ما تمّ تقديمه ومن ثُمّ التأكيد على بخل هذه القبيلة فهو يدعو المتلقي إلى الاذعان له وبالتالي إحكام الحجة عليه .

نستنتج من النصّوص السابقة أنّ شعراء الحماسة يقصدون ترتيب الحِجج وفق آلية معينة ينتج منها الوصول إلى مناطق المتلقي وعوالمه ليبث دعواه ويثبت حِججه بتسلسلات حجاجية وبأشكال السُلّم الثلاثة (التصاعدي والتنازلي والمتراكم) ,وهذه تسير عبر مسار متدرج فينتج بذلك نوعٌ من التواصل والتفاعل بين المُتلقي والنصّ فيكون السُلّم الداعم الأول للحِجج بما يحمله من ترابط وانسجام بين فقراته وهُنا تكمن قوة الحِجاج ونجاحه .

1 - يُنظر: السلالم الحِجاجية في القصص القرآني مقاربة تداولية , فايزة بو سلاح ، اطروحة دكتوراه - جامعة وهران , الجزائر ، 2015 - 2016: 116.

الـــــخاتمة

بعد رحلـة طويلـة ماتعـة ليست باليسيرة تتبعت وتقصيت الطاقـات الحجاجيـة الماثلة بين طيّات كُتب الحماسة ، فوقفت فـي هذه الأطروحـة عنـد أهم النتـائج التـي أفضت إلى الآتي :

- تنوعـت منطلقـات الحجـاج مـن حيـث الآليـات والوسـائل والتقنيـات, وهـذا طبيعـي بحكم حاجة الشاعر إلى الإقناع وإنّ تنوع الاغراض والتي تمثّلت بالمدح والهجاء

والرثاء والغزل والحكمة وغيرها أدى إلى تنوع الوسائل وطريقة عرض الكلام والحجج .

- عُنـيّ شـعراء الحماسـة بعنصـر الحـوار وعـدّوه الفضـاء الـذي تـدور بـه أطـراف العمليـة الحِجاجيـة وبوصـفه جـزءاً مهمـاً وذا أثـر كبيـر فـي إثبـات الفعل الإقنـاعي وتدعيم الحجج ولا يتمّ إلاّ من طريق تفعيل العملية التواصلية الحِواريـة بين البـاث والمتلقـي فضـلاً عـن اهتمـامهم بتوظيـف اختيـارات لفظيّـة تتناسـب وتنسـجم مـع الغرض المقصود وهذا من شأنه إحداث تغيير فـي موقف أو جذب للانتبـاه ، إذ لا يوجد حِجاج بدون حوار .
- من أهم المنطلقات التي اعتمدها شعراء الحماسات في مضاعفة طاقاتهم الحِجاجية هو مراعاة أحوال المتلقين ، فمن مصلحة الخِطاب الحِجاجي كيفية التعامل مع كل فئة من فئات المجتمع، وهنا تكمن فطنـة الشـاعر وذكائـه؛ لـذا عدّوا هذه المراعـاة مكوناً أساسياً من مكونات حِجاجهم ليستميلوا بها المتلقين .
- لعبت اللغة دوراً مهماً في حجاجية النصّ الشعري الحماسي فشحنته بطاقات فعّالـة ، من حيث خلق بناء متناسق تتخلله أساليب لغوية يريد بها الشـاعر السيطرة علـى الموقف الحجـاجي وتقديمـه بأفضـل وجهـة ممكنـة ، فالحجـاج متجلٍ ومنغرس فـي بنيـة اللغـة، لـذا تنوعت لـديهم هـذه الأسـاليب فوظّفوا بنيـة الاستفهام وكـذلك النفـي والنداء ، إذ كان لها حضورٌ فعّال فـي نصوصـهم فاتخـذوها وسـائل مُهمـة لإيصـال المتلقي إلى مرتبة الاقناع .

ومن المفاهيم الإجرائية التي وظفت في هذه المدونـة هـي متضـمنات القول بشقيها الخفي والظـاهر أعنـي الافتراض المسبق والقول المضـمر ، إذ جـاء بهـا بقصـدية ليمنح الـنصّ طاقـة حِجاجيـة تُعزّز المعنـى وتؤكـد الدلالـة ، لـذا لجـأ الشـعراء إلـى الافتراض المسبق بوصـفه ملمحـاً حِجاجيـاً فكلّ دلالـة افتراضـية يطرحهـا الشـاعر هي وسيلة للتنبيه والتبليغ والإقناع .

- وأيضـاً من المرتكزات المهمة التي وظّفها شعراء الحماسات هو (القول المضـمر) فتكمن بـه قوة إنجازيـة ومـا كـان توظيفـه إلاّ لتوجيـه رسـالة أو طـرح قضـية مهمـة

تتخللها أشارات , أو رموز دالة على المعنى المُراد ، وهذا عندما لا يريد الشاعر البوح بصورة مباشرة إلى المتلقي لسبب يكمن في ذاته ؛ لذلك يعمد على اتخاذه كوسيلة يحقق به أبعاده الحِجاجية .

- أمّا التقنيات الحِجاجية فلها دور مهم لا يقل عن سابقه ، إذ اعتمدها شعراء الحماسات في نصوصهم ليشركوا المتلقي ويجعلوه مشاركاً فعلياً في العملية الحجاجية ويتجلّى هدف هذه التقنيات بترسيخ الحِجج, إذ يستطيع الشاعر تطويعها ليمارس الفعل التأثيري على المتلقي ليصل إلى غايته فيما يريد .
- لجأ شعراء الحماسة إلى توظيف الروابط الحجاجية على اختلاف قواها الإنجازية إذ حققّت هذه الروابط أبعاداً توجيهية من خلال عملية الربط بين الأقوال المتجلية في النص الشعري ، إذ تعمل على تحقيق الانسجام والتناسق , فتأخذ المفردات مكانها لتخدم الموقف الشعري وبها يضمن الشاعر نجاعة حِجته فتتحقق الاستمالة لديه .
- تنوعت أشكال السلّم الحجاجي عند شعراء الحماسات ما بين (التصاعدي والتنازلي والمتراكم)، وكان الهدف من هذا التنوع هو بيان أهمية التراتبية السلّمية في طرح الحجج ومدى تأثير هذا السلم على فكر المتلقي فيسلسل الحجج على وفق قوتها وضعفها ليصل إلى النتيجة الأقرب للمتلقي والتي تؤثر به وتجعله يتأمل ويتفكر بما يطرح اليه .
- ختاماً نقول إنّ كلّ الإمكانات اللغوية التي تجلّت في هذه الكُتب ، وجدت لدوافع حجاجية بدليل أن شعراء الحماسة قد نوعوا الأساليب اللغوية في نتاجاتهم الشعرية وعدّوها رافداً مهماً من روافد الحجاج ليصلوا إلى أهدافهم وبذلك نجد أنَّ هؤلاء الشعراء استغلوا كلّ الطاقات المتجلية باللغة خير استغلال .

Ā╪Ă†ƒ œÕ╠Ĭ†ƒ

القرآن الكريم

أولاً: الكتـب

- **أدبية الغزل العذري في ديوان جميل بثينـة ، عبـد الوهـاب الرفيق ، دار صـامد للنشر والتوزيع , تونس ، ط1 ، 2005 .**
- **أديان العرب قبل الاسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ، داوود جرجسي المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1998 .**
- **أسـاليب الاسـتفهام فـي الشـعر الجـاهلي التركيـب والموقـف والدلالـة دراسـة نحويـة وبلاغية, حسني عبد الجليل يوسف, دار الثقافة للنشر والتوزيع , جامعة ميتشيغان د.ط ,2007.**
- **اسـتراتيجيات الحجـاج فـي المنـاظرة السياسـية , أنـور الجمعـاوي ,المركـز العربـي للأبحاث والدراسات السياسية , د.ط ,2013 .**
- **استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية,عبد الهادي بن ظافر الشـهري ، دار الكتـاب الجديد المتحدة , لبنان، ط1، 2004 .**
- **اسرار البلاغـة ، أبـو بكـر عبـد القـاهر الجرجـاني ،تـح: محمـد عبـد المـنعم الخفـاجي- محمد عزيز شرف ، دار الجيل للطباعة والنشر - بيروت ، د.ط ،1991 .**
- **أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكيـة، مثنـى كـاظم صادق ، منشورات ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1 2015.**
- **الاتجـاه التـداولي والـوظيفي فـي الـدرس اللغوي , د. نـاديـه رمضـان النجـار ، مؤسسـة حورس الدولية للنشر والتوزيع , الإسكندرية , ط1 ،2013 .**
- **الأغاني , أبو فرج الأصفهاني , تح: محمـد افنـدي المغربـي , تصـحيح :الأسـتاذ الشيخ احمد الشنقيطي , مطبعة التقدم للنشر والتوزيع , د.ط , 1905.**
- **الإنسان المتمرد، البير كامو، تر: نـهاد رضا ، عويدات للنشر والتوزيـع – بيروت ط3 1983 .**

- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة مصطفى البابي للطباعة والنشر والتوزيع , مصر، د.ط 1980.
- البداية والنهاية :إسماعيل عمر ابن كثير, مطبعة السعادة للطباعة والنشر والتوزيع , مصر - القاهرة ج/11 , د.ط 1358 .
- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ،عمران قدور ، عالم الكتب الحديث اربد- الاردن ، ط1، 2012.
- البعد الثالث في سيموطيقيا موريس من اللسانيات الى النقد الأدبي والبلاغة، عيد بلبع , بلنسية للنشر والتوزيع , مصر ، ط 1 ، 2009.
- البناء الفني في شعر ابن جابر الأندلسي، د. سلام علي الفلاحي، دار غيداء للنشر والتوزيع, عمان، ط1 , 2012.
- البنية اللغوية في النص الشعري (درس تطبيقي في ضوء علم الأسلوب) ,محمد الدسوقي ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع , ط1 , 2008
- البيان والتبيين : أبو عثمان بن بحر الجاحظ ، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، 1418، ط7 ،ج/1 .
- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2000.
- التداولية , جورج يول ، تر: قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، ط 1، 2010.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل, آن روبول جاك موشلار، تر: سيف الدين ومحمد الشيباني ,د.ط.,د.ت.
- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي , مسعود صحراوي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع بيروت ط1، 2005.

- التداولية في الفكر النقدي , د. كاظم جاسم العزاوي ، الشركة العربية المتحدة للنشر والتوزيع , القاهرة ، د. ط ، 2016 .
- التداولية واستراتيجية التواصل, د. ذهبية حمو الحاج ، رؤية للنشر والتوزيع د.ط , 2015 .
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص, صابر الحباشة , صفحات للنشر والتوزيع سوريا , دمشق ,ط1 2008.
- التدرج البلاغي في الرسالة الصحفية مقاربة تفسيرية للسلم الحجاجي ,اكرم فرج الربيعي، دار امجد للنشر والتوزيع ،المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2016 .
- التذكرة الحمدونية , محمد بن الحسن بن حمدون , تح: إحسان عباس وبكر عباس دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت لبنان, د.ط , 1996.
- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ,زكي مبارك , مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع , د.ط , 2017 .
- الحبّ والفناء تأملات في المرأة والعشق والوجود, علي حرب , دار المناهل للطباعة والنشر ط1 ,1990 .
- الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم,عبد الله صولة ، إشراف :حمادي صمود، منشورات كلية الآداب, تونس .
- الحجاج عند ارسطو، اشراف حمادي صمود ، تونس – كلّية الآداب جامعة منوبة د.ط .
- الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم محمد الامين الطلبة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، لبنان - بيروت ، ط1 ،2008 .
- الحِجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري نموذجاً, عبد العالي قادا ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،عمان الأردن،2015.

- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته واساليبه ,سامية الدريدي , عالم الكتاب , ط1, 2007.
- الحجاج في القران الكريم من خـــــــلال اهم خصائصـــــــه الأسلوبية ، عبد الله صولة دار الفارابي ط1, 2007.
- الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي ، يمينة تابتي ، مخبر للنشر والتوزيع ، د.ط 2007.
- الحجاج في روايات اهل البيت في كتاب اصول الكافي للكلّيني ، عبد الله خليل العبادي، شركه العارف للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، ط1 ، 2021 .
- الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع : د. حمدي منصور جودي، مركز الكتاب الاكاديمي للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2018.
- الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، حافظ اسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، أربد - الاردن ، ط1 ، 2010.
- الحِجاج والشعرية والتأويل في الشعر العربي القديم, مصطفى رجوان ، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1 ، 2021 .
- الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم ،ايمن ابو مصطفى ، دار النابغه للنشر والتوزيع ، ط1، 2018 .
- الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وانسكومبر , رشيد الراضي ،عالم الفكر ، د. ط 2005.
- الحماسة ، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، تح :عبد الله بن عبد الرحيم ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية المجلس العلمي 14 ، د.ط ,1981
- الحماسة أبو عبادة الوليد بن البحتري ، تح: محمد ابراهيم حور و أحمد محمد عبيد ، هيأة أبوظبي للثقافة والتراث - المجمع الثقافي الإمارات العربية المتحدة ، د.ط ، 2007 .

- الحماسة الشجرية، هبة الله بن علي بن حمزه العلوي الحسنى ابن الشجري ، تح: عبد المعين الملوحي و أسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة للنشر والتوزيع , دمشق.
- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية د. محمد نظيف افريقيا الشرق - المغرب , ط1, 2010 .
- الخطاب والحجاج, أبو بكر العزاوي , مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ,ط1 , 2010.
- الخطابة ، ارسطو طاليس ، تح: عبد الرحمن بدوي ، دار العلم – بيروت ، د.ط 1979 .
- الأستدلال البلاغي ، شكري المبخوت، دار الكتاب الجديدة المتحدة للنشر والتوزيع بيروت, لبنان ،ط1 ,2001 .
- الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية , عبد العزيز حويدق منشور في كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة العربية , اعداد وتقديم : حافظ اسماعيل علوي , الاردن – أربد, عالم الكتب الحديث 2010.
- السبع المعلقات دراسة اسلوبية ، د. عبد الله خضر حمد ، دار القلم للنشر والطباعة والتوزيع بيروت – لبنان ،2017 .
- السيميائيات التداولية من البنية إلى السياق , أحمد يوسف ، جامعة وهران , الجزائر د.ط ، 2004.
- الشعراء الحُنفاء , أحمد جمال العمري الأستاذ المساعد في كلية الآداب , جامعة الزقازيق , دار المعارف للنشر والتوزيع - الامارات د. ط , 2014.
- الصناعتين , ابو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل ، تح: ،علي محمد و محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية ، ط1، 1952.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور ،المركز الثقافي العربي ، ط2 ،1992 .

- الصورة في الشعر العربي (دراسة تنظيرية وتطبيقية في شعر صريع الغواني مسلم بن وليد) د. احمد علي ابراهيم الفلاحي , ط1 , 2013 .
- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب , ناصيف اليازجي , تح : عمر فاروق , دار الارقم للنشر والتوزيع لبنان - بيروت , د.ط, د.ت.
- العوامل الحِجاجية ، عز الدين الناجح ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس- تونس د.ط ، 2001
- العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال للنشر والتوزيع ، د.ط د. ت.
- الفلسفة اليونانية وريف عبد الرؤوف دار الجنان للنشر والتوزيع عمان ، د.ط , 2021 .
- الكامل في اللغة أبو العباس محمد بن يزيد المبرد , تح: محمد أبو الفضل , دار النـــهضة, القاهرة , د.ط , د.ت .
- اللسان والميزان او التكوثر العقلي : طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ،ط1، 1998 .
- اللغة العربية معناها ومبناها, د. تمام حسان،الدار البيضاء,المغرب, د. ط، 1999.
- اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، العمدة للطبع والتوزيع ، الدار البيضاء ،ط1 2006,
- اللغة واللذة الشعرية دراسة تأسيسية في جمالية اللغة الشعرية , عصام شرتح , دار الخليج للصحافة والنشر , ط1 , 2019 .
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر , ابن الاثير ضياء الدين , تح: أحمد الحوثي بدوي طبانة, دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع , مصر, د.ط , د.ت.
- المصطلحات البلاغية والنقدية عند أبي هلال العسكري, شامل عبيد درع, دار دجلة للنشر والتوزيع د.ط ، 2015 .
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب دومينيك مونقانو , تر: محمد يحيا تن ، منشورات الاختلاف للطباعة الجزائر ، ط5 ، 2005 .

- المضمر , كاترين كيربرات اوريكيوني، تر : ريتا خاطر ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتـــوم ، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتـوزيع ، المنظمة العربية للترجمة ، ط 20081.
- المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية ، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ,الدار البيضاء المغرب ، ط 1 ،2004 .
- المعجم الفلسفي ، ابراهيم مدكور ، مجمع اللغة العربية ، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،القاهرة ، د.ط ، 1403 .
- المفاتيح الشعرية قراءة أسلوبية في شعر بشار, لطيف الشهرزوري , دار الزمان , دمشق د.ط 2012 .
- المنتخب من ديوان العرب , خير الدين شمسي ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط ، 2000 .
- الموسوعة الكبرى لأطراف الحديث النبوي الشريف , جمع وإعداد: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني بن السيد بن محمد بن علي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، 1971 .
- النسق الشعري و بنياته منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي , د . طارق ثابت , مركز الكتاب الاكاديمي للطباعة والنشر والتوزيع , د.ط , د.ت .
- النص والسياق استقصاء البحث الدلالي التداولي, فان دايك ، تر:عبد القادر قنيني دار افريقيا الشرق الدار البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع, المغرب ، ط2000،1.
- النظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية , محمد طروس ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2005.
- النقد التطبيقي التحليلي , د. عدنان خالد عبد الله , دار الشؤون الثقافية, بغداد ط1, 1986.
- آمالي المرتضى وغرر الفوائد ودرر القلائد , الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي , تح :محمد أبو الفضل دار إحياء الكتب للنشر والتوزيع ,القسم الأول , د. ط , 1373 .

- بلاغة الاقناع في المناظرة ، عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف للنشر والتوزيع ,ط1 ، 2013.
- بلاغة الاقناع في المناظرة, عادل عبد اللطيف ، منشورات ضفاف ، بيروت , لبنان ط 1 ,2013.
- بلاغة الخطاب وعلم النص , صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة للنشر والتوزيع ,الكويت د. ط ، 1992.
- بلاغة المخاطب في البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي الى مقاومته, عماد عبد اللطيف ، مصر ،د.ط , 2016.
- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن, ترجمة محمد الولي, ومحمد العمري، الدار البيضاء المغرب دار توبقال للنشر، ط1، 1986.
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني ، تح: : مصطفى حجازي، مطبعة الكويت- الكويت، د.ط ، 1969.
- تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ,مصر ،ط8 1995.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الإمام الحافظ المؤرخ أبو عبد الله شمس الدين - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تح: مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية للطبع والنشر والتوزيع ، لبنان بيروت , د.ط ،1971.
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية , عمر بالخير، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة الجديدة ، ط2 ، 2013 .
- جماليات التلقي وإعادة إنتاج الدلالة دراسة في لسانيات النص الأدبي , د.محمد السيد احمد الدسوقي ، أستاذ النقد والبلاغة كلية الآداب جامعة طنطا ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ط1 , 2007 .
- جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية نقدية جمالية , حسين جمعة, دار رسلان للنشر والتوزيع , د.ط, 2013 .

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع , أحمد الهاشمي , تدقيق يوسف الصميلي , مكتبة العصرية للنشر والتوزيع بيروت, لبنان د.ط ،1999 .
- حماسة الخالدين : أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد بني هاشم الخالدي , تح: الدكتور سامي الدهان عضو مجمع اللغة العربية بدمشق , دار صادر للنشر والتوزيع , لبنان - بيروت ,د.ط , 1992.
- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء أبو محمد عبد الله بن محمد , تح: محمد جبار المعيبد , دار الكتب والوثائق , المكتبة الوطنية – بغداد ,د.ط,1974.
- حياة مشاهير الفلاسفة: ديوجينيس الايرتسي ، تر: عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، مصر - القاهرة، ط 1 ، 2014 .
- خطاب الحِجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي , عباس حشاني ،عالم الكتب الحديث ,الاردن ، ط1 ، 2014 .
- دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات , شكري المبخوت , دار الكتاب الجديد المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع , ط 1 2010 .
- دلائل الاعجاز, أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق عبد المنعم خفاجة، مكتبة القاهرة ط1، 1969.
- دور الشعر الحماسي في العصرين الجاهلي والاسلامي ، عثمان عبد السلام ، كلّية الآداب ، جامعه الوزن د.ط,د.ت.
- دينامية النصّ تنظير و انجاز: محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي, بيروت الدار البيضاء ط 1 ،1987.
- ديوان ابن الدمينة أبي العباس ثعلب , تح: راتب التفاخ , مطبعة المدني للطباعة والنشر والتوزيع , دار العروبة ,د.ط 1959 .
- ديوان أبي العتاهية ، تح: شكري فيصل ، دار الملاح للنشر والتوزيع ، دمشق - سوريا ، د.ط ، 1965 .
- ديوان أبي فراس الحمداني, تح: عباس عبد الستار, د.ط , 2020 .

- ديوان الإمام عبد الله بن المبارك , تح: مجاهد مصطفى بهجت , دار الوفاء للنشر والتوزيع, د.ط , 1987 .
- ديوان العرب , د. عائض القرني , مكتبة العبيكان للطباعة والنشر والتوزيع , ط5 , 1430ه.
- ديوان المرقشين,عمر بن سعد وعمر بن حرملة, تح: كارين صادق , دار صادق للنشر والتوزيع, بيروت, لبنان, د.ط , 1998 .
- ديوان المعاني, أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري مكتبة القدسي للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر- القاهرة ، د.ط ، 1352هـ.
- ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، صدر هذا الكتاب عن الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، د.ط ، 2007 .
- ديوان بكر بن النطّاح , جمعه حاتم صالح الضامن مطبعة المعارف للنشر والتوزيع , العراق - بغداد , د.ط , 1975 .
- ديوان حاتم طي , مؤسسه هنداوي للنشر والتوزيع , د.ط , 2022 .
- ديوان زهير بن أبي سلمى شرحه وقدّمه : على حسين فاعور , دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ,بيروت - لبنان , ط1 ,1988 .
- ديوان علي بن الجهم, وزارة المعارف المكتبات المدرسية, المملكة العربية السعودية , علي بن الجهم ,تح: خليل مراد, د.ط , 1980.
- ديوان عمر بن كلثوم ، تح: إميل بديع يعقوب, دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، لبنان - بيروت ، ط2 ، 1996.
- ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى ، تح: أبي بكر الوالبي ، تعليق :يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت , لبنان ,د.ت .
- ديوان كعب بن زهير , شرح :أبو سعيد السكري ,مطبعة دار الكتب المصرية للنشر والتوزيع , القاهرة , د.ط , 1950 .
- ديوان مجنون ليلى , جمع وتحقيق :عبد الستار فرج, دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة , د.ط , د.ت.

- ربيع الأبرار وفصوص الاخبار في المحاضرات , ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري , تح: طارق فتحي السيد , دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع د.ط , 2006.
- رؤى تداولية في الصرف العربي , سيف الدين طه الفقراء ، جامعة مؤتة كلية، الآداب قسم اللغة العربية وآدابها , اليازوري للطباعة والنشر والتوزيع د.ط ، 2010.
- سمط اللآلئ في شرح آمالي القالي , أبو عبيد البكري , تح :عبد العزيز الميمني , مطبعة لجنة التأليف للطباعة والنشر والتوزيع , مصر- القاهرة , د.ط , 1936
- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز , جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي , ضبطه وشرحه : الأستاذ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع بيروت - لبنان ، ط1 ,1984 .
- سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل الى التأويل – قراءات في قصائد بلاد النرجس د. محمد صابر عبيد ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع , عمان ، د.ط ، 2009 .
- شرح المفصل للزمخشري, أبو البقاء بن يعيش الموصلي, تح: إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت, لبنان ، ط1، 2001 .
- شرح ديوان المتنبي ,تح: عبد الرحمن البرقوقي ، مؤسسة هنداوي للنشر والطباعة والتوزيع ، د.ط 2014 .
- شرح شواهد المعنى جلال الدين عبد الرحمن ,تح: أحمد ظافر كوجان , لجنة إحياء التراث العربي , سوريا - دمشق د.ط , 1966 .
- شعر الأحوص الأنصاري ، تح: عادل سليمان جمال ، قدّمه شوقي ضيف مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع, مصر, القاهرة ط2 ، 1990.
- شعراء امويون , نوري حمودي القيسي , المجمع العلمي العراقي للنشر والتوزيع د.ط, د.ت .
- طبقات ابن المعتز, عبد الستار احمد العراج , دار المعارف للنشر والتوزيع , مصر- القاهرة ,د.ط , 1956 .

- طوق الحمامة في الالفة والالاف، ابن حزم الأندلسي, تح: أحمد مكي ,دار المعارف للنشر والتوزيع ،القاهرة - مصر، ط1 ، 1975.
- عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج : عبد السلام عشير, الشرق للنشر والتوزيع , الدار البيضاء , المغرب , د.ط, 2006.
- فنُّ وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة , د. سناء محمد سليمان , عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع , كلية البنات , جامعة عين شمس, د.ط , د.ت.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلّام , طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي للنشر ,الدار البيضاء ، ط 2 ، 2000 .
- في التشكيل اللغوي للشعر مقاربات في النظرية والتطبيق، د. محمد عبدو فلفل منشورات الهيأة العامة السورية, دمشق ، ط1، 2013.
- في بلاغة الحجاج , محمد مشبال ، دار كنوز المعرفة , عمان، ط 1 ، 2017 .
- في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية , محمد العمري ، دار افريقيا الشرق -المغرب ، ط 2، 2002 .
- في علم المعاني ,عبد الفتاح لاشين ، دار الهاني للنشر والتوزيع , مصر ، د.ط 1991.
- في نظرية الحِجاج دراسات وتطبيقات , د. عبد الله صولة , الشركة التونسية للنشر والتوزيع , ط1 , 2011 .
- قضايا الشعر العربي الحديث ، د. عبد الله خضر حمد ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، د.ط ، 2017 .
- كتاب الوحشيات أو الحماسة الصغرى , ابو تمام , تح: عبد العزيز اليمني , دار المعارف , - القاهرة , ط3 د.ت .
- كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم ،محمد علي التهاوني ، تح: رفيق العجم– علي دحروج ،ط1 ,د.ت.
- لسان العرب , ابن منظور ابو الفضل جمال الدين, دار الثقافة العربية , بيروت .

- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي , أحمد قبش , دار العروبة للطبع والنشر والتوزيع , د.ط , 2009.
- مدخل الى الحجاج افلاطون وارسطو و شاييم بيرلمان ، محمد الولي ، عالم الفكر العربي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت ,د.ط ,د.ت.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي ، تح: : يوسف اسعد ، دار الاندلس بيروت ط5 1978 .
- مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب : حفناوي رشيد بعلي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2013 .
- مصنف في الحجاج ، بيرلمان - تيتكا ، تح: ليوت ، المطابع الجامعية 1981.
- معجم أشعار العشق في كتب التراث العربي , غريد الشيخ, دار النخبة للطباعة والنشر والتوزيع , لبنان - بيروت , ط2 , 2020.
- معجم البلدان, للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت , لبنان 1971.
- معجم الشعراء , أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني تح: عباس هاني ,دار الكتب العلمية بيروت - لبنان, ط1 2010.
- معجم الشعراء في معجم البلدان, ياقوت بن عبد الله الحموي، تح: كامل سلمان الجبوري ، مكتبة لبنان للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط 2002
- معجم الشعراء, أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني , تح: عبد الستار أحمد فراج , دار إحياء الكتب العربية, القاهرة , د.ط , 1960 .
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية , محمد سمير نجيب، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع بيروت، ط1 ، 1985.
- معجم تحليل الخطاب, باتريك شارودو، تر: عبد القادر المهيري ، المركز الوطني للترجمة، تونس ،ط1 ، 2008.
- معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس ، تح: شهاب الدين ابو عمرو ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، د.ت .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, ابن هشام الأنصاري ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1991 .
- مفتاح العلوم ، السكاكي أبو يعقوب يوسف، مكتبة مصطفى البابي للطباعة والنشر والتوزيع مصر ،ط 2 ،1990
- مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم محمد الأمين المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت، ط 1 ،2000 .
- مفهوم الحجاج عند شاييم بيرلمان ، محمد سالم الامين ، دار الروافد الثقافية الجديدة - بيروت، ط1 ,2013.
- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني , حسين عطوان ، دار الجيل للنشر والتوزيع , بيروت , لبنان ط1 ، 1982 .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني أبو الحسن، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة الدار العربية للكتاب ، تونس ط 1، 2008 .
- موسوعة آل بيت النبي صلى الله عليه و آله وسلم مهدي محمد سرور وسميرة جميل ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع لبنان - بيروت ، د.ط 2010.
- موسوعة لالاند الفلسفية ، اندريه لالاند ، منشورات عويدات – بيروت ، ط2 2001 .
- نُزهة الأدباء وطرفه الظرفاء , بدر الدين الدمياطي , تح :محمد فؤاد وعبد الستار فوزي , دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع, د.ط , 2011
- نظرية الحجاج عنده شايم بيرلمان ، تح : حسين بنو هاشم مكتبة الأدب المغربي ,دار الكتاب الجديدة ، ط1، 2014 .
- نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم، شكري المبخوت ، اشراف حمادي صمود، جامعة تونس - كلّية الآداب،ط1 ، د.ت.

ثانياً : الرسائل والأطاريح

- الخطاب القصص القرآني دراسة اسلوبية تداولية قصة يوسف عليه السلام نموذجا نور الدين خيار ، مذكرة معدة لنيل درجة الماجستير، جامعة مولودي معمري - الجزائر 2012 .
- السلالم الحِجاجية في القصص القرآني مقاربة تداولية , فايزة بو سلاح اطروحة دكتوراه - جامعة وهران , الجزائر ، 2015 - 2016.
- تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا ,رحيمة شتير ،إشراف د.عبد القادر دامغي، كلية الآداب , جامعة الحاج لخضر ,الجزائر أطروحة الدكتـــــوراه ، 2009-2008 .
- رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البالغة - دراسة حجاجية , رائد مجيد جبار الزبيدي, أطروحة دكتوراه , كلية الآداب ، جامعة البصرة ،2013

ثالثاً : المجلات والدوريات

- استراتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ البشير الإبراهيمي , حمدي منصور جودي , مجلة كلية الآداب واللغات , جامعة بسكرة ، العدد العاشر- جانفي، 2012 .
- الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله, د. رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر الكويت ، ع2، مج40 ، 2011 .
- الافتراض المسبق في الدرس التداولي أنماطه وتطبيقاته : هشام صويلح مجلة المقال جامعة باجي مختار ، الجزائر ع/6 - فبراير ، 2018 .
- الآليات الحِجاجية للتواصل ، بلنجر ليوشيل ، تر :عبد العزيز بورسكي مجلة علاقات ع/21 .
- الحجاج والاستدلال الحجاجي ،حبيب اعراب ، مجلة عالم الفكر، الكويت ع1 سبتمبر 2001,.
- الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو ، رشيد الراضي، عالم الفكر , الكويت ع1 سبتمبر, 2005 .

- الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي ، مجلة علمية محكمة تصدرها كلية الدراسات الاسلامية ، د. منى فهمي محمد غيطاس , كليه الدراسات الإسلامية والعربية بنات ـ القاهرة ، العدد الخامس عشر، 2015 .
- النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع , محمد العيد, مجلة فصول للـــــنقد الأدبـــــــي , ع/ 9 ، 2002 .
- بلاغة الحجاج في النصّ الشعري الشميزي أنموذجا, يوسف محمود عليات، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق ، المجلد 29 .
- مدخل إلى الحجاج ,محمد الولي ، مجلة الفكر ،ع \ 40 اكتوبر، 2011 .
- مدخل الى الحجاج أفلاطون وأرسطو : شايم بيرلمان ، تح :محمد الولي ، مجلة عالم الفكر- كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ المغرب ، ع/2، 2011 .
- نظرية الحجاج في التقاليد الغربية ، حسن المودن ، مجلة علامات ،ج/ 42, 2001.